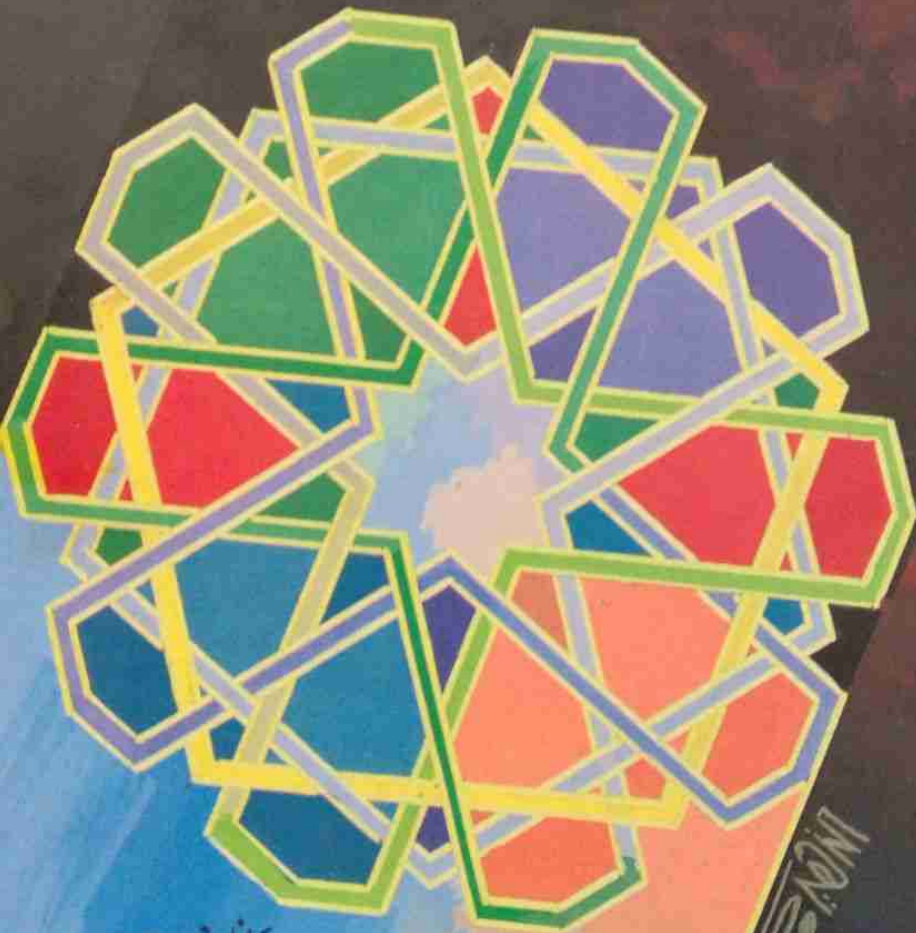


مَوْاعِظُ ابْنِ الجَوْزِيِّ

المُسَمَّى: اليَاقوتة



تأليف
جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي
(٥١٠هـ - ٥٩٧هـ)



دراسة وتحقيق

أحمد عبد التواب عوض

مَوْاعِظُ ابْنِ الْجَوْزِيِّ

المُسَمَّى: الياقوتة

3/2014
٤
سور الأثرية
أبو زيد

تأليف

جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

(٥١٠٦هـ - ٥٩٧هـ)

دراسة وتحقيق

أحمد عبد التواب عوض

دار الفخيلة

دار الفضيحة

للنشر والتوزيع والتصدير

الإدارة: القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضي -
كلية البنات - مصر الجديدة - ت و فاكس ٦٦٤٤٤٤
المكبة: ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت ٢٩٠٩٤٣١
الإمارات: دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٤٧٦

جميع الحقوق محفوظة للناتشر

إِهْدَاء

إِلَى وَالِدَيَّ ...

كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ...

إِلَى أَوْلَادِي ...

مَرِيْمَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ

أَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَنْبِتَهُمَا نَبَاتًا

حَسَنًا وَيُجَنِّبَهُمَا وَذُرِّيَّتَهُمَا

الشَّيْطَانَ الرَّجِيمَ ..

أَحْمَدُ عَبْدُ النَّوَّابِ عَوْضُ

٣٠ محرم ١٤١٥ هـ

الطرايف ١٩٩٤/٧/٩ م





مقدمة المحقق

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلّل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد :

فإن النَّفْسَ الإنسانيّة تميل إلى الدَّعةِ والحمول والكسل ، وتحتاج دائماً إلى التذكير والموعظة وتميل إلى الطمع في الدنيا ، كما قال تعالى في الحديث القدسي : « ابن آدم عندك ما يكفيك ، وَأَنْتَ تَطْلُبُ ما يُطغيك ، لا بقليلٍ تَفْنَعُ ، ولا من كثيرٍ تَشْبَعُ ، إذا أصبحتَ مُعافى في جَسَدِكَ آمناً في سِرِّبِكَ ، عِنْدَكَ قُوَّةٌ يَوْمَكَ فعلى الدنيا العفاء » (١) .

ولذلك آثرنا أن نقدم هذه الياقوتة من يواقيت ابن الجوزي في الموعظة ، وتذكير النفس وخصّها على الطاعة والعمل الصالح ، والاستعداد لليوم الآخر ، عسى ربنا أن يكشف عنا ما نحن فيه من الذنوب والمعاصي ، ويتوب علينا ، ويهدينا سبيله الأقوم إذ يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (٢) . فعسى أن تأخذ هذه الرسالة بيد إنسان يريد التوبة إلى الله ، أو تذكّر أخاً قد

(١) رواه بن عدى والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) سورة الرعد ، الآية ١١ .

سها أو لها ، أو توقظ ضمير أحدي أراد الشيطان أن يشتتْهُويَه ، فهي رسالة صالحة كي يقرأها العالم والمتعلم ، والمجتهد والمبتدئ فلا أحد من هؤلاء يستغنى عن الموعدة .

فالموعدة كما قال عنها محمد بن تمام : جند من جنود الله تعالى ، ومثلها مثل الطين يُضْرَبُ به على الحائط ، إن استمسك نَفَع ، وإن وَقَعَ أَثَّر .

وإن الموعدة تنفع العاقل ، قال علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - : لا تُكُونَنَّ ممن لا تنفعه الموعدة ، إلا إذا بالغت في إيلامه ، فإن العاقل يَتَّعِظُ بالأدب ، والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب .

أرشدنا الله إلى طاعته ، وبشّر لنا سبيل الرّشاد ، ووعظنا بما سمعنا وقرأنا ووعينا ، إنه سَمِيعٌ قريب .

أحمد عبد الله بن محمد

١٤١٥/١/٣٠ هـ

الموافق ١٩٩٤/٧/٩ م

* * *

ترجمته ابن الجوزي

(٥١٠ - ٥٩٧ هـ)

اسمه :

هو : أبو الفرج جمال الدين ابن أبي الحسن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله (١) بن حمادى (٢) بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن (٣) بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، القرشى ، التيمى ، البكرى ، البغدادى ، الفقيه ، الحنبلى ، الواعظ ، المحدث ، الحافظ ، المفسر ، الأديب ، المؤرخ ، مشارك فى أنواع أخرى من العلوم ، المعروف بابن الجوزى .

نسبته :

ابن الجوزى نسبة إلى « الجوز » ، وقد اختلف فى سبب نسبته إليها

ف قيل :

١ - إن جدّه جعفر نُسب إلى فُرْضَة (٤) من فُرْضِ البصرة يقال لها :

« جوزة » .

(١) فى معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة : « على بن عبيد الله بن حمادى » .
وفى طبقات الحفاظ ، للسيوطى : « عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن علي بن علي بن عبد الله بن كحالة » .

(٢) فى طبقات المفسرين للداودى : « حمادى بن إبراهيم بن أحمد بن جعفر بن عبيد الله » .

(٣) فى طبقات المفسرين ، للداودى : « عبد الله بن عبد الرحيم بن القاسم » .

(٤) فرضة النهر : ثلمته التى يستقى منها ، وفرضة البحر : محط السفن .

٢ - قال المنذرى : هو نسبة إلى موضع يقال له : « فرضة الجوز » .
٣ - ذكر ابن أبي الجيش : أنه منسوب إلى محلة بالبصرة تسمى :
« محلة الجوز » .

٤ - وقال الذهبى وتابعه السيوطى بقوله : بل كانت بداره فى واسط
جوزة ، لم يكن بواسطة جوزة سواها .

٥ - قال ابن خلكان وتابعه الزركلى فى الأعلام بقوله : إن نسبته إلى
« مشرعة الجوز » إحدى محال بغداد بالجانب الغربى .

مولده :

وكما اختلف فى نسبته اختلف فى مولده :

قال أبو المظفر المعروف بسبط ابن الجوزى : « ولد جدّى ببغداد بدرب
حبيب ، من نهر المَعْلَى^(١) فى سنة خمس وعشرين وخمس مائة تقريباً » ،
ونقل ابن الجوزى عن أخيه أبى محمد : أنه ولد سنة ثمان ، وقيل : تسع .
ووجد بخطه : لا أحقق مولدى ، غير أنه مات والدى فى سنة أربع
عشرة ، وقالت الوالدة : كان لك من العمر نحو ثلاث سنين . وقال فى
صيد الخاطر : « فإن أبى مات ، وأنا لا أعقل » ، فعلى هذا يكون مولده سنة
إحدى عشرة أو اثنتى عشرة .

نشأته وطلبه للعلم :

كان مولده ببغداد بدرب حبيب ، فلما توفى والده ، وهو صغير كفلته
أمه وعمته ، وكان أهله تُجَّاراً فى النحاس ، ولذا كتب بعض سماعاته
« عبد الرحمن الصفار^(٢) » . وقال ابن خلكان : « كان والده يعمل الصُّفْر

(١) نهر المعلى ، ويقال : هو نسبة إلى المعلى بن طريف المهدي ، ويقع فى الجانب الشرقى من
بغداد ، يتفرع من نهر موسى ويمر بين الدور إلى باب سوق الثلاثاء ، ثم يصب فى دجلة .

(انظر : تاريخ بغداد ١/١١٤ - ١١٥ والخطيب البغدادي ١/٩٦) .

(٢) الصفار : نسبة إلى الصُّفْر ، وهو النحاس .

بنهر القلايين^(١) ، فنشأ يتيماً على العفاف والصلاح ، ويبدو أن أمه لم تلتفت إليه ولم تعتن بتربيته وتعليمه ، بل تولت ذلك عمته ، وكانت امرأة صالحه ، فلما ترعرع حملته عمته إلى مسجد الفضل بن ناصر^(٢) الحافظ الثقة البغدادي فاعتنى به ، وأسمعه الحديث .

وقيل : إن أول سماعه كان سنة ٥١٦ هـ وحفظ القرآن وجوّد حفظه . يقول عن نفسه : « أذكر نفسي ولي همّة عالية وأنا في المكتب ابن ست سنين ، وأنا قرين الصبيان الكبار ، رُزِقْتُ عقلاً وافراً في الصغر يزيد على عقل الشيوخ ، فما أذكر أني لعبت في طريق مع الصبيان قط ، ولا ضحكت ضحكاً خارجاً ، حتى أني أذكر : كنت ولي سبع سنين أونحوها أحضر رَحْبَةَ الجامع ، فلا أتخير حلقة مُشْعَبِدٍ ، بل أطلب المُحَدِّثَ ، فيتحدّثُ بالسِّيَرِ فأحفظُ جميع ما أسمعُه ، وأذهب إلى البيت فأكتبه » .

ويتحدث عن شيخه الفضل بن ناصر : « ... وكان يحملني إلى الشيوخ ، فأسمعنِي المسند وغيره من الكتب الكبار ، وأنا لا أعلم ما يُزَاد مِنِّي ، وَضَبَطَ لِي مسموعاتي إلى أن بَلَغْتُ ، فناولني ثبتها ، ولازمته إلى أن توفي إلى رحمة الله ، فنلت به معرفة الحديث والنقل ... » .

وقال : « ولما رأيت من أصحابي من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخي ذكرت عن كل واحد منهم حديثاً » ، ثم ذكر في هذه المشيخة له سبعة وثمانين شيخاً^(٣) .

ثم صحب أبا الحسن بن الزاغوني ولازمه وعلق عنه الفقه والوعظ ،

(١) وهو من أنهار الكرخ .

(٢) ذكر ابن العماد الحنبلي بأن أبا الفضل هذا هو خال ابن الجوزي .

(انظر : شذرات الذهب ٤/٣٣٠) .

(٣) في كتاب جمع فيه أسماء شيوخه ، وذكر فيه عن كل شيخ منهم حديثاً .

وكانت له حلقة بجامع المنصور يناظر فيها يوم الجمعة قبل الصلاة ثم يعظ فيها بعد الصلاة ويوم السبت أيضاً ، وتوفى ابن الزاغوني حين بلغ ابن الجوزي سن الحلم ، فطلب ابن الجوزي خلفته ، فلم يعط ذلك لصغره وأعطيت الخلافة^(١) لأبي علي الرذاني ، وأُذِنَ لابن الجوزي بالوعظ في جامع المنصور ، فحضر مجلسه في أول يوم جماعة من أصحابه الكبار الفقهاء : منهم عبد الواحد بن شعيب ، وأبو علي بن القاضي ، وأبو بكر بن عيسى ، ثم تكلم في مسجد معروف^(٢) وفي باب البصرة ونهر المعلى ، فاتصلت المجالس واشتد الزحام ، وانقطعت مجالس أبي علي الرذاني .

وقرأ الفقه والجدل والأصول على أبي بكر الدِّينَوْرِيِّ والقاضي أبي يعلى وغيرهما ، فقال : « ولم أقنع بِفَنِّ واحد ، بل كنت أسمع الفقه والحديث ، وأتبع الزَّهَّاد ، ثم قرأت اللغة ، ولم أترك أحداً مِمَّنْ يروى ويعظ ، ولا غريباً يقدم ، إلا وأحضره وأتخَّير الفضائل ، ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث ، فينقطع نَفْسِي من العَدُوِّ لئلا أُسْبِقَ ، وكنت أُصْبِحُ وليس لي مَأْكَل ، وأمسي وليس لي مَأْكَل ، ما أذَّنني الله لمخلوق قط ولو شرحت أحوالي لطال الشرح » .

وقرأ الأدب على أبي منصور الجوالقي أستاذ عصره في العلوم العربية . قال ابن الجوزي : « قرأت عليه كتابه (المعرب) وغيره من تصانيفه » . وكانت له كلفة وحبٌّ للعلم ، ولذة لتحصيله لها لا تفوقها أى لذة وكان ينفق في سبيل العلم كل ما يملك ولم يبخل على علمه بشيء فيقول في كتابه « لفته الكبد » مخاطباً ابنه : « واعلم يا بني أن أبي كان موسراً ، وخلف ألوفاً من المال ، فلما بَلَغْتُ دفعوا لي عشرين ديناراً ودارين ، وقالوا لي : هذه التَّرِكَةُ كُلُّهَا ، فأخذت الدَّنَانِيرَ واشترت بها كتباً من كتب

(١) أى يحل محله في وظائفه .

(٢) هو معروف الكرخي ، ومسجده في محلة الكرخ غربي دجلة في بغداد .

العلم ، وبعثُ الدَّارين ، وأنفقت ثمنها في طلب العلم ، ولم يبق لى شيء من المال » .

وقال : « كنت في زمن الصِّبا آخذ معى أرغفة يابسة ، فأخرج في طلب الحديث ، وأقعد على نهر عيسى ^(١) ، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء ، فكلما أكلت لقمة شربت عليها ، وعين همتى لا ترى إلا لذة تحصيل العلم ، فأثمَرَ ذلك عندي أنى عُرفْتُ بكثرة سماعى لحديث رسول الله ﷺ وأحواله وآدابه ، وأحوال الصحابة وتابعيهم » .

أولاده :

قال ابن الجوزى ، في مُقدِّمة كتابه (لفتة الكبد) : « سألت الله تعالى أن يرزقنى عشرة أولاد ، فرزقنيهم فكانوا خمسة ذكوراً ، وخمس إناث ، فمات من الإناث اثنتان ، ومن الذكور أربعة ، فلم يبق من الذكور سوى ولدى أبى القاسم ، فسألت الله تعالى أن يجعل فيه الخلف الصالح وأن يبلغ به المنى والمناجح » .

وقال أبوالمظفر سبطه : « وكان له من الأولاد الذكور ثلاثة : عبد العزيز ، وهو أول أولاده ، وأبو القاسم على ، وأبو محمد يوسف » .
وقال : « وكان لجدِّى عدَّة بنات ، منهن والدتى رابعة ، وشرف النساء ، وزينب ، وجوهرة ، وست العلماء الكبرى ، وست العلماء الصغرى » .
ومن هذين الخبيرين نقول : لعل ابن الجوزى رحمه الله ألف كتابه « لفتة الكبد » قبل مولد ابنه يوسف . أما أولاده الذين عاشوا دهوراً من الزمن ، فأكبرهم هو أبو بكر عبد العزيز ، ومات شاباً ، بالموصل سنة ٥٥٤ هـ في حياة والده ، وقد عدَّه والده من الأموات فى الخبر السابق ، وكان قد تفقَّه على مذهب الإمام أحمد ، وسافر إلى الموصل ، ووعظ فيها ، وحصل له القبول التام .

(١) نسبة إلى عيسى بن على بن عبد الله بن العباس ، ويقع فى الجانب الغربى ويصب فى دجلة .

(انظر : تاريخ بغداد ١/٩٢ ، ١١١) .

وثانيهم : بدر الدين أبو القاسم على ، ويبدو أن العلاقة بينه وبين أبيه لم تكن على ما يرام ، فقد أجمع المؤرخون أنه قد تَسَلَّطَ على كتب أبيه في غيبته في واسط فباعها بأبخس ثمن ، وفي كتاب « لفتة الكبد » يُعَرَّضُ ابن الجوزي بأبي القاسم كثيراً ، ويشكو من سلوكه ، ويحثه على عدم اليأس ، لأنه قد انتبه خلق كثير بعد الرقاد الطويل ، ثم يضرب أمثلة على ذلك .
وتوفى أبو القاسم سنة ثلاثين وست مائة ، وله ثمانون سنة ، وكانت زوجته ابنة الوزير يحيى بن هبيرة ، صديق والده .

وابنه الثالث : هو محيي الدين أبو محمد يوسف ، فقد كان أنجب أولاده وأصغرهم ، ولد سنة ٥٨٠ هـ ووعظ بعد أبيه ، ثم باشر حسبة بغداد وتدریس مذهب الحنابلة بالمستنصرية ، ثم صار رسول الخلفاء إلى الملوك بأطراف البلاد ، وكان على صغر سنِّه له دور في خلاص أبيه من المِحْنَةِ ، وقد ابنتى المدرسة الجوزية سنة ٦٥٢ هـ في دمشق ثم صار أستاذ دار المستعصم ، واستمر إلى أن قتله التتار سنة ٦٥٦ هـ .

أما بناته ، فمنهن أربعة فهي والدة أبو المظفر يقول عنها : هذه رابعة والدتي تزوجها أبو الفتح بن رشيد الطبري ، وهو أوَّل أزواجها ، ولم يطل عمره معها ، ثم زَوَّجها جدِّي بوالدي بعد موت ابن رشيد ... سَمِعْتُ الحديث على ابن البطي ، وثابت بن بندار ، ومعظم مشايخ جدِّي . أما سائر بناته فنعلم أن إحداهن تزوجت عبد الوهاب بن العيبي ، أما بناته الأخر فلا نعلم عنهن شيئاً إلا خبر أبي المظفر سبطه .

صفاته وأخلاقه :

أكثر ابن الجوزي الكلام عن نفسه في مؤلفه « صيد الخاطر » فذكر فيه : أنه نشأ في النعيم ، ورَبِّيَ على الدلال ، وأنه قد حُبِّبَ إليه العلم في زمن الطفولة ، ولم يرغب في فن واحد من فنونه ، بل رغب في كل فنٍّ ، وأنه يتردد أبداً بين الزهد والعبادة ، وبين العلم والبحث ، وأنَّ من لِدَاتِهِ

وأصحابه من أنفق عمره في اكتساب الدنيا ، ثم لم يَنْلَ منها ما ناله هو ، وأنَّ عيشه أَلْيَنُ من عَيْشِهِمْ ، وجاهه أعلى من جاههم ، وتَحَدَّثَ كيف أنه كان يمسي وليس له مأكل ، وإذا وجد الطعام فلا يأكل منه إلا أقله وأخشنه فيقتصر على الخبز أحياناً ، بل على اليابس منه مع أن أباه كان موسراً ، إلا أنه أنفق ما وصل إليه من تركته على شراء الكتب .

وقال عنه ابن العماد : وكان يراعى حفظ صحته ، وتلطيف مزاجه ، وما يفيد عقله قوة ، وذهنه حدة ، ولباسه الناعم الأبيض المُطَيَّب ، وله مداعبات حلوة ، وما تناول مالا من جهة لا يَتَيَقَّنُ جِلَّها ، ولا ذلَّ لأحد .
قال في « لفتة الكبد » يخاطب ولده : « وما ذلَّ أبوك في طلب العلم قط ، ولا خرج يطوف في البلدان كغيره من الوعاظ ، ولا بعث رُقْعَةً إلى أحد يطلب منه شيئاً » .

وقال ابن كثير : وكان فيه بهاء وَتَرَفٌ وإعجاب بنفسه وسمو بها أكثر من مقامها وذلك ظاهر في كلامه ونثره ونظمه ، ثم أورد له شعراً منه قوله :
لو كان هذا العلم شخصاً ناطقاً وسألته : هل زار مثلي ؟ قال : لا .

قال ابن رجب : ممَّا عيب عليه ما يوجد في كلامه من الثناء على نفسه والتَّرَفُ والتعاضم ، وَكَثْرَةُ الدَّعَاوى ، ولا ريب أنه كان عنده من ذلك طرف ، — سامحه الله — .

وكان يَتَّصِفُ بقوة البديهة ، وحضور الذهن والأجوبة النادرة ، مع كثرة الحفظ وسعة الرواية ، ومن أُنْدَرِ أجوبته أنه وقع النزاع على عهده في المفاضلة بين أبي بكر وعلى ، بين أهل السنة والشيعة ورضوا فيما بينهم بما يجيب به الشيخ أبو الفرج ، فأقاموا له رجلاً وسط المجلس فسأله عن ذلك ، فقال على الفور : أفضلهما من كانت ابنته تحته ، ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك . فقال السُّنِّيَّةُ : هو أبو بكر رضى الله عنه ؛ لأن ابنته عائشة رضى الله عنها تحت رسول الله ﷺ ، وقالت الشيعة : هو على رضى الله عنه ؛ لأن فاطمة بنت رسول الله ﷺ تحته .

قال ابن خلكان : وهذه من لطائف الأجوبة ، ولو حصل بعد الفكر التام وإمعان النظر .

وكان فى غاية الحسن فضلاً عن البديهة ، ومن أجوبته أن رجلاً سأله : أيهما أفضل ، أسبُح أو أستغفر ؟ فقال : الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون منه إلى البخور .

مذهبه :

كان محارباً للبدع : فقال ابن الجوزى : « وظهر أقوام يتكلمون بالبدع ويتعصبون فى المذاهب فأعانى الله سبحانه عليهم ، وكانت كلمتنا هى العليا » .

وكان ابن الجوزى رحمه الله يظهر فى مجالسه مدح السُّنة والإمام أحمد وأصحابه ويذم من يخالفهم ، ويُصَرِّح بمذاهبهم فى الأصول حتى قيل له مرّة : قلل من ذكر أهل البدع مخافة الفتن فأنشد :

أَتُوبُ إِلَيْكَ يَا رَحْمَنٌ مِّمَّا جَنَيْتَ فَقَدْ تَعَاظَمَتِ الذُّنُوبُ
وَأَمَّا مِنْ هَوَى لَيْلَى وَحُبِّى زِيَارَتِهَا فَيَأْنِي لَّا أَتُوبُ
وَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : مَا فَيْكَ عَيْبٌ إِلَّا أَنْتَ حَنْبَلِي ، فَأَنْشَدَ :

وَعَيَّرَنِي الْوَاشُونَ أَنِّي أَحْبَبْتُهَا وَتَلَّكَ شِكَاةَ ظَاهِرِكَ عَنكَ عَارَهَا

ثم قال : أهذا عيبى؟! ولا عيب فى وجهه نقطه صحنه بالخال .

علاقته بالخلفاء وولاية الأمور :

ليس بين أيدينا ما يبين لما علاقة ابن الجوزى بالخلفاء إلا ثلاثة منهم وهم : « المستنجد ، والمستضىء ، والناصر » .

١ - مع المستنجد : ذكر فى المنتظم : أن المستنجد عندما ولى الخلافة خَلَعَ عليه ، وأذن له فى الجلوس فى جامع القصر للوعظ ، فكان يحرز جمع مجلسه على الدوام بعشرة آلاف وخمسة عشر ألفاً .

٢ - المستضيء : كان المستضيء معجباً بابن الجوزي إعجاباً كثيراً ، وكان يحضر دروسه ، ويستمع إلى مواعظه ونصائحه ويكرمه .

قال بعض خدم الخليفة لابن الجوزي يعبر عن مدى حُبِّ الخليفة له : « إن الخليفة حضر يوماً المجلس متحاملاً لمرض حصل له ، ولولا شِدَّة محبتك لما حضر ، لما كان اعتراه من الألم » .

وألَّف ابن الجوزي كتاباً في تاريخ دولة المستضيء سَمَّاه : « المصباح المضيء في دولة المستضيء » ، وكتاباً آخر سَمَّاه : « النصر على مصر » .

٣ - النَّاصر : كان الناصر كسابقه يحضر بعض دروس ابن الجوزي في باب بدر في ساحة قصور الخلفاء ، ولكن العلاقة بينهما لم تكن جدُّ طَيِّبَةً ولما وُثِّقَ بابن الجوزي إلى الخليفة ، أَمَرَ بحبس ابن الجوزي في واسط ولم يفرج عنه إلا بعد خمس سنوات بشفاعة أم الخليفة زمرد خاتون وجهود ابنه محيي الدين يوسف ، فقد كانت أم الخليفة تناصره وتؤيده .

وعظه :

ابن الجوزي مُتَّفَرِّدٌ بفن الوعظ الذي لم يسبقه إليه مثله ولا يلحق شأوه فيه من بعده ، في طريقته وشكله ، وفي فصاحته وبلاغته ، وعذوبته وحلاوة ترصيعه ، ونفوذ وعظه ، وغوصه على المعاني البديعة ، وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحِسِّيَّة بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك فكان يجمع الكثير من المعاني في القليل من الألفاظ . وكانت له مسالك في ألفاظه إلى القلوب .

ابتدأ ابن الجوزي الوعظ صغيراً في حدود عشرين سنة ، وكان يحضر مجالسه الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء والأعيان وسائر الناس ، وأقل ما كان يجتمع في مجلس وعظه عشرة آلاف ، ويحكى ابن جبير في رحلته ، وطبقات الحنابلة ٤٠٥/١ : أن أبواب المكان الذي يلقي فيه وعظه

كانت تغلق بعد الظهر يوم المجلس لِشِدَّةِ الرَّحَامِ ، فإذا جاء ابن الجوزى مع العصر فُتِّحَ له ، وزاحم معه من يمكنه أن يُزَاحِمَ .

وكان لهذه المجالس الوعظية ثمرة عظيمة فيقول فى آخر كتاب «القصاص» : ما زلت أعظ الناس وأحرضهم على التوبة والتقوى ، فقد تاب على يدي إلى أن جمعت هذا الكتاب أكثر من مائة ألف رجل ، وقد قطعت من شعور الصبيان اللاهين أكثر من عشرة آلاف طائفة ، وأسلم على يدي أكثر من مائة ألف .

ومن خلال ترجماته التى ذكرها المؤرخون تعرّفنا على عدد من المجالس التى كان يعظ فيها منها :

١ - مجلس بإزاء الشط بالجانب الشرقى وهو متصل بآخره بقصور الخليفة وكان يجلس فيه كل يوم سبت .

٢ - مجلس جامع قصر الرّصافة .

٣ - مجلس باب بدر ، وقد نُحِصَ ابن الجوزى بالوصول إليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة الناصر ووالدته ومن حضر الحرم .

٤ - مجلس جامع المنصور : وكان يجلس فيه يوماً أو يومين فى السنة فتغلق المحال ويحزر الجمع بمائة ألف .

٥ - مجلس درب دينار ، وفيه مدرسة موقوفة عليه .

٦ - مجلس باب الأزج ، وفيه مدرسة مفوض أمرها له .

٧ - مجلس تربة أم الخليفة .

٨ - مجلس فى دار الوزير ابن هبيرة ، وكان يعقد فى كل يوم جمعة .

٩ - مجلس صاحب المخزن .

١٠ - ومجالس أخرى متفرقة ذكر جانباً منها فى الجزء العاشر من كتاب «المنتظم» .

ومنزله فى الوعظ لم يكن يدانيه فيها أحد ، ولقد أوتى قوة العارضة

وحسن التصرف فى فنون القول ، وشدة التأثير فى الناس مالم يؤت
الكثيرون .

قال ابن رجب : قرأت بخط الإمام ناصح الدين بن الحنبلى الواعظ فى
حق الشيخ أبى الفرج ، اجتمع فيه من العلوم مالم يجتمع فى غيره ،
وكانت مجالسه الوعظية جامعة للحسن والإحسان باجتماع ظُراف بغداد
ونظاف الناس ، وحسن الكلمات المسجعة ، والمعانى المودعة فى الألفاظ
الرائجة ، وقراءة القرآن بالأصوات المُرجَّعة ، والنغمات المطربة ، وصيحات
الواجدين ، ودمعات الخاشعين ، وإنابة النادمين ، وذل التائبين ...

ابن الجوزى والصوفية

هذا الكتاب لابن الجوزى فى المواعظ والزهد فى الدنيا ويحض على
الأعمال الصالحة ، وربما وقعت فيه بعض الأحاديث الضعيفة والحكايات
الغريبة ، وقد يكون فى بعضها مبالغات ، وربما كان ذلك لحض النفس وحثها
على الاقتراب من نقطة الكمال فى الأعمال والأخلاق ، وإن فعل ابن
الجوزى ذلك واحتج بأقوال كثيرين من أئمة التصوف ، إلا أنه انتقد أفعال
الصوفية فى كتاب « تلبس إبليس » الذائع الصيت ، الذى ينتقد فيه نهج
الصوفية ويأخذ عليهم فيه مأخذ يقول : إنها من تلبس إبليس عليهم ،
ويقول : ربما كان التصوف نتاجاً أفرزه الزهد الإسلامى عند الأوائل ، إلا أن
صوفية هذا الزمن قد انحرفوا عن السُنَّة ، وابن الجوزى من رأيه أن اسم
الصوفية من الأسماء العربية الصميمة وليس اسماً دخليلاً ، ويرجعه إلى خدم
الكعبة الذين انقطعوا للخدمة فيها ، وكان الواحد منهم يسمى صوفة
وصوفان ، أو أن صوفة هذا هو الغوث بن مر ، ولم تكن أمه يعيش لها
أولاد ، فنذرت إن عاش ابنها هذا أن تهبه لخدمة الكعبة وتقطعه عليها وتميزه
بأن تجعل فى رأسه صوفة إشارة إلى أنه ربيط الكعبة ، ومن ثم فقد انتسب

الصوفية إلى صوفة هذا لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله . وربما كانت نسبة الصوفى إلى الصوفانة وهى بقلة من بقول الصحراء يتعيش عليها كطعام المنقطعين لعبادة الله فى الصحارى والفيافى ، فنسبوا إليها ؛ وربما كان انتسابهم لصوفة القفا ، أى شعراته المدلاة التى يطلقها القوم نسياناً لأنفسهم فى التعب ، وعلى أى الأحوال فإن التصوف كان رياضة نفس ومجاهدة فنبع عند الشيوخ الأوائل ، إلا أن ذلك الوقت قد مضى وجاء قوم من الأدعياء فَلَبَّسَ إبليس عليهم وَصَدَّهم عن العلم وأراهم أن المقصود بالعبادة هو العمل ، فيها أطفأ نور العلم عندهم وتخطوا فى الظلمات ، فمنهم من أراه أن التصوف هو ترك الدنيا بالجملة ، فرفضوا الكسب ، وركنوا إلى البطالة ، وأهملوا ما يُصْلِحُ أبدانهم ، وشبهوا المال بالعقارب ونسوا أنه خلق للمصالح ، وبالغوا الحمل على أنفسهم حتى كان الواحد ما يذوق الطعام بالأيام فيفسد بذلك تفكيره ، ويتخلط ذهنه ، ويتوهم أشياء كأن تكلمه الملائكة أو يشاهد الله ، وتنتابه الوسوس والخطرات من شدة الجوع ووطأة الفقر وقلة النوم ، وقد صنَّف الحارث المحاسبى التصانيف فى ذلك باعتبارها من الفضائل . وأفرد آخرون التصوف بصفات مَيِّزُوه بها من اختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق ، وقال بعضهم : بالحلول والاتحاد ، وادَّعوا العشق الإلهى ، ونسوا أن العشق فى اللغة يقال للمكوح ، والله يُحب ويُحَب ، ولكنه لا يُعشَق ولا يُعشَق ، وترتب على هذا التَّرخُّص فى القول ادِّعاء البعض النبوة ثم الربوبية حتى قيل : إن الحلاج أرسل فى إحدى المرات كتاباً إلى أحدهم قال فيه : من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان ، وفسَّر هذا التبجح منه بأن تلك طريقة الصوفية فيما يسمى عين الجمع ، فالله على الحقيقة هو الذى يكتب ويملى ، وليست اليد التى تخط إلا مجرد آلة . وأطلق الصوفية على هذا العلم عندهم اسم علم الباطن ، بينما الفقه هو علم الظاهر ، وبلغ من تلبس إبليس عليهم أن عَادُوا الفقهاء وَدَفَنُوا كُتُبَ الفقه أو أغرقوها فى الماء ، ثم جاءت أقوام أخرى من المتصوفة زاد من تلبس إبليس عليهم ، أنهم تشبهاً بأسلافهم لبسوا المراقع مثلهم ،

ولكنهم لفقوها من فاخر الثياب ، وانتحلوا للمراقع نسباً يصلهم بالصحابة وآل البيت ، وبعد أن كانت حياة السابقين قوامها الجوع والفقر والزهد ، فإن هؤلاء استغرقتهم النعم ، وعرفوا الطريق إلى الأمراء والحكام وأقبلوا على لذات الطعام والشراب ، ومصادقة الولدان ومرافقة النسوان ، وادّعوا أن الله يحل في الصورة الحسنة والجسم الجميل من الأولاد المُزُود ، واقتحمت جماعة منهم يقال لهم الملامتية الذنوب بدعوى أن يسقطوا في أعين الناس فيسلموا بذلك من العُجب بالنفس ، وأظهروا من أنفسهم أقبح الصفات ، ومنهم أيضاً إباحية المتصوفة ، وهؤلاء ادّعوا أنهم لَمَّا زهدوا وراضوا أنفسهم ، وصلوا فسقطت عنهم التكاليف والعبادات ، أو أنه طالما أن المكتوب في القدر واقع ؛ فلا ملامة عليهم فيما يصدر عنهم ، أو أن الأمور تستوى في المعصية والطاعة طالما أن الله مُسْتَعْنٍ عن الأعمال ولا يتأثر به ، وأن رحمته وسعت الجميع فلا وجه للحرمان والمعاناة والتعب ، ومن ثم ذهبوا إلى تأويل الأحاديث والقرآن ، وقالوا : الأوامر والنواهي رسوم العامة ، وأما هم فقد تجوهروا لَمَّا وصلوا ، ولو تجوهر العامة لسقطت عنهم تلك الأوامر والنواهي ، ومن بالغ منهم في الرياضة وفتح الله عليه بالكلمات اللطيفة أو رأى الرؤى التي تثمرها الخلوة والتفكير ادّعى الكرامات وكانت لهم شطحات ، مثلما قال البسطامي : إن النار إذا رآته تخمد فيكون ظهوره عليها رحمة للخلق ، أو أنه في الآخرة سيسأل الله أن يدخله النار ليعلم الخلائق أن يَرَّ الله ولطفه في النار مع أوليائه !... وذلك وغيره كله من أقبح الأقوال والأفعال ، ويتضمن تحقير ما عظمه الله وحضّ عليه وكان سنة النبي ﷺ والسلف الصالح (١) .

* * *

(١) انظر : الموسوعة الصوفية ، د. عبد المنعم الحفنى ص ١١٠ - ١١٢ - ط دار الرشاد

سنة ١٩٩٢ هـ .

آثارُ العَامِيَّةِ

كان ابن الجوزى — رحمه الله — أعجوبةً فى التَّصنيف والتَّأليف .
قال ابن خلكان : إن كتبه أكثر من أن تُعدَّ .

وقال الذهبى : ما علمت أحداً من العلماء صَنَّفَ ما صَنَّفَ هذا الرجل ويرى بعض الباحثين والمؤرخين ، إن كثرة مؤلفات ابن الجوزى بها مغالاة من الناس ، ولكن من انتبه إلى سيرته العلمية يجد أن الرجل كان يمضى كل وقته فى التَّأليف والوعظ والتدريس ، ولا يضيع من عمره شيئاً ، وذلك أنه عاش قرابة تسعين عاماً ، ومثل هذا العمر والحرص على الوقت جديران بهذه الكثرة من المؤلفات .

ويقولون : إنه جمعت الكراريس التى كتبها ، وحسبت مُدَّة حياته ، وقسمت الكراريس على المُدَّة ، فكان ما خَصَّ كل يوم تسع كراريس ، وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله عقل .

ويقال : إنه جمعت براية أقلامه التى كتب بها حديث رسول الله ﷺ ، فحصل منها على شيء كثير ، وأوصى أن يُسَخَّنَ بها الماء الذى يُغَسَّلُ به بعد موته . فَفَعِلَ ذلك ، فَكَفَّتْ وفضل منها .

وقد ابتدأ التَّأليف فى سِنِّ مبكرة منذ الثالثة عشرة من عمره (١) .

ونضرب مثلاً لحرصه على الوقت أن يضيع بغير فائدة ، فقال :
« رأيت خَلْقًا كثيرين يجرون معى فيما اعتاده الناس من كثرة الزيارة ، فلما رأيت الزمان أشرف شيء كرهت ذلك ، وبقيت معهم بين أمرين :

إن أنكرت عليهم وقعت وحشة لموضع قطع المألوف ، وإن تقبلته منهم ضاع الزمان ، فصرت أدافع اللقاء جهدى ، فإذا غُلِبَت قَصَّرت فى الكلام

(١) الذيل على طبقات الخنابلة ٤١٦/١ .

لأتعجل الفراق ، ثم أعددت أعمالاً لأوقات لقائهم ، لئلا يمضى الزمان فارغاً ، فجعلت من المُستَعَدِّ للقائهم قطع الكاغد (الورق) وبرى الأقلام ، وحزم الدفاتر ، فإن هذه الأشياء لا بد منها ، ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب ، فأرصدتها لأوقات زيارتهم لئلا يضيع شيء من وقتي « !!؟
فإذا أردنا إحصاء كتبه :

فقد سئل عن عدد مؤلفاته فقال : إنها أكثر من ثلاث مائة وأربعين مصنفاً منها ما هو عشرين مجلداً ومنها ما هو كُرَّاس واحد .
وقد أحصى الأستاذ عبد الحميد العجلوني في كتابه « مؤلفات ابن الجوزي »^(١) كتابين وأربعمائة ورتبها على حروف المعجم . ويبيِّن المطبوع منها والمخطوط والمفقود « نشرته وزارة الثقافة بالعراق » وسرد (جمعه الخولى) في رسالته للدكتوراه بكلية أصول الدين « ابن الجوزي الواعظ ومنهجه في الدعوة إلى الله » مؤلفاته وبين المطبوع منها والمخطوط والمفقود .
ونذكر بعض مؤلفاته لندلل على كثرتها وتنوعها :

من مصنفاته فى القرآن وعلومه :

- ١ - « المغنى فى التفسير » ٨١ جزء١ .
- ٢ - « زاد المسير فى علم التفسير » أربع مجلدات .
- ٣ - « تيسير البيان فى تفسير القرآن » مجلد .
- ٤ - « تذكرة الأريب فى تفسير الغريب » مجلد .
- ٥ - « غريب الغريب » جزء ٦ .
- ٦ - « نزهة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر » مجلد .

(١) وطبع طبعة أحدث : وصل إحصاء كتبه فيها إلى ٥٧٤ كتاب .
طبع جمعية إحياء التراث الإسلامى « الفهارس والبليوغرافية » منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت ، « الفهارس والبليوغرافية » الطبعة الأولى سنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م فى ٣٢٩ صفحة .

- ٧ - « الوجوه النواضر فى الوجوه والنظائر » مجلد .
 ٨ - « الإشارة إلى القراءة المختارة » ٤ أجزاء .
 ٩ - « تذكرة المنتبه فى عيون المشتبه » جزء .
 ١٠ - « فنون الأفنان فى عيون علوم القرآن » مجلد .
 ١١ - « ورد الأغصان فى فنون الأفنان » جزء .
 ١٢ - « عمدة الراسخ فى معرفة المنسوخ والناسخ » ٥ أجزاء .
 ١٣ - « المصفى بأكف أهل الرسوخ فى علم الناسخ والمنسوخ » جزء .

من مصنفاته فى أصول الدين :

- ١٤ - « منتقد المعتقد » جزء .
 ١٥ - « منهاج الوصول إلى علم الوصول » ٥ أجزاء .
 ١٦ - « بيان غفلة القائل بقدم أفعال العباد » جزء .
 ١٧ - « غوامض الإلهيات » جزء . ١٨ - « مسلك العقل » جزء .
 ١٩ - « منهاج أهل الإصابة » . ٢٠ - « السر المصون » مجلد .
 ٢١ - « دفع شبه التشبيه » ٤ أجزاء .
 ٢٢ - « الرد على المتعصب العنيد » .

من مصنفاته فى الحديث والزهديات :

- ٢٣ - « جامع المسانيد بألخص الأسانيد » .
 ٢٤ - « الحدائق » ٣٤ جزءاً .
 ٢٥ - « نفى النقل » ٥ أجزاء . ٢٦ - « المجتبى » مجلد .
 ٢٧ - « النزهة » جزآن . ٢٨ - « عيون الحكايات » مجلد .
 ٢٩ - « ملتقط الحكايات » ١٣ جزءاً .
 ٣٠ - « إرشاد المريدين فى حكايات السلف الصالحين » مجلد .

- ٣١ - « روضة الناقل » جزء . ٣٢ - « غرر الأثر » ٣٠ جزءًا .
- ٣٣ - « التحقيق فى أحاديث التعليق » مجلدان .
- ٣٤ - « المديح » ٧ أجزاء . ٣٥ - « اليواقيت فى الخطب » مجلد .
- ٣٦ - المنظوم والمنثور فى مجالس الصدور (خ) فى خزانة الرباط (٩٠) و (١٢٢) أوقاف وهو ٧٧ مجلساً .
- ٣٧ - بحر الدموع (فى الوعظ) .
- ٣٨ - « الموضوعات من الأحاديث المرفوعات » مجلدان .
- ٣٩ - « العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية » مجلدان .
- ٤٠ - « الكشف لمشكل الصحيحين » أربع مجلدات .
- ٤١ - « الضعفاء والمتروكين » مجلد .
- ٤٢ - « إعلام العالم بعد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه » مجلد .
- ٤٣ - « إخبار أهل الرسوخ فى الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث » جزء .
- ٤٤ - « السهم المصيب » جزآن . ٤٥ - « أخاير الذخائر » ٣ أجزاء .
- ٤٦ - « الفوائد عن الشيوخ » ٦٠ جزءًا .
- ٤٧ - « مناقب أصحاب الحديث » مجلد .
- ٤٨ - « موت الخضر » مجلد . ٤٩ - « مختصرة » جزء .
- ٥٠ - « المشيخة » جزء . ٥١ - « المسلسلات » جزء .
- ٥٢ - « المحتسب فى النسب » مجلد .
- ٥٣ - « تحفة الطلاب » ٣ أجزاء .
- ٥٤ - « تنوير مدلهم الشرف » جزء . ٥٥ - « الألقاب » جزء .
- ٥٦ - « فضائل عمر بن الخطاب » مجلد .

- ٥٧ - « فضائل عمر بن عبد العزيز » مجلد .
- ٥٨ - « فضائل سعيد بن المسيب » مجلد .
- ٥٩ - « فضائل الحسن البصرى » مجلد .
- ٦٠ - « مناقب الفضيل بن عياض » أربع أجزاء .
- ٦١ - « مناقب بشر الحافى » سبعة أجزاء .
- ٦٢ - « مناقب إبراهيم بن أدهم » ستة أجزاء .
- ٦٣ - « مناقب سفيان الثورى » مجلد .
- ٦٤ - « مناقب أحمد بن حنبل » مجلد .
- ٦٥ - « مناقب معروف الكرخى » جزآن .
- ٦٦ - « مناقب رابعة العدوية » جزء .
- ٦٧ - « مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن » مجلد .
- ٦٨ - « صفة الصفوة » ٥ مجلدات .
- ٦٩ - « منهاج القاصدين » أربع مجلدات .
- ٧٠ - « المختار من أخبار المختار » مجلد .
- ٧١ - « القاطع لمحال اللجاج بمحال الحجاج » جزء .
- ٧٢ - « عجالة المنتظر لشرح حال الخضر » جزء .
- ٧٣ - « النساء وما يتعلق بأدابهن » مجلد .
- ٧٤ - « علم الحديث المنقول فى أن أبا بكر أمّ الرسول ﷺ » جزء .
- ٧٥ - « الجواهر » .
- ٧٦ - « المغلق » .

من مصنفاته فى التاريخ :

- ٧٧ - « تلقيح فهوم أهل الأثر فى عيون التواريخ والسير » مجلد .
- ٧٨ - « المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم » ١٠ مجلدات .

- ٧٩ - « شذور العقود فى تاريخ المعهود » مجلد .
 ٨٠ - « طرائف الظرائف فى تاريخ السوالف » جزء .
 ٨١ - « مناقب بغداد » مجلد .

من مصنفاته فى الفقه :

- ٨٢ - « الإنصاف فى مسائل الخلاف » .
 ٨٣ - « جُنَّة النظر وجنة النظر » وهى التعليقة الوسطى .
 ٨٤ - « معتصر المختصر فى مسائل النظر » .
 ٨٥ - « عمد الدلائل فى مشتهر المسائل » وهى التعليقة الصغرى .
 ٨٦ - « المذهب فى المذهب » . ٨٧ - « مسبوک الذهب » مجلد .
 ٨٨ - « النبذة » جزء . ٨٩ - « العبادات الخمس » جزء .
 ٩٠ - « أسباب الهداية لأرباب البداية » مجلد .
 ٩١ - « كشف الظلمة عن الضياء فى رد دعوى » .
 ٩٢ - « رد اللوم والضيم فى صوم يوم الغيم » جزء .

من مصنفاته فى علوم الوعظ :

- ٩٣ - « الياقوتة فى الوعظ » وهو هذا الكتاب الذى بين أيدينا .
 ٩٤ - « المنتخب فى النواب » مجلد .
 ٩٥ - « منتخب المنتخب » مجلد .
 ٩٦ - « نسيم الرياض » مجلد . ٩٧ - « اللؤلؤ » مجلد .
 ٩٨ - « كنز المذكر » مجلد . ٩٩ - « الأزج » مجلد .
 ١٠٠ - « اللطائف » مجلد . ١٠١ - « كنوز الرموز » مجلد .
 ١٠٢ - « المقتبس » مجلد . ١٠٣ - « موافق المرافق » مجلد .
 ١٠٤ - « شاهد ومشهود » مجلد .

- ١٠٥ - « واسطيات العقود من شاهد ومشهود » مجلد .
- ١٠٦ - « اللهب » جزآن . ١٠٧ - « المدهش » مجلدان .
- ١٠٨ - « صبا نجد » جزء . ١٠٩ - « محادثة العقل » .
- ١١٠ - « لقط الجمان » جزء . ١١١ - « معانى المعانى » جزء .
- ١١٢ - « فتوح الفتوح » جزء . ١١٣ - « التعازى الملوكية » جزء .
- ١١٤ - « العقد المقيم » جزء .
- ١١٥ - « إيقاظ الوسنان من الرقعات بأحوال الحيوان والنبات » جزآن .
- ١١٦ - « نكت المجالس البدرية » جزآن .
- ١١٧ - « نزهة الأديب » جزآن . ١١٨ - « منتهى المنتهى » جزآن .
- ١١٩ - « تبصرة المبتدى » ٢٠ جزءا .
- ١٢٠ - المنهل العذب ، أو الوارد العذاب فى الوعظ .
- ١٢١ - « تحفة الوعاظ » مجلد .

مصنفاته فى فنون مختلفة :

- ١٢٢ - « ذم الهوى » مجلدان . ١٢٣ - « صيد الخاطر » ٦٥ جزء .
- ١٢٤ - « أحكام الأشعار بأحكام الإشعار » عشرون جزء .
- ١٢٥ - « القصاص والمذكرين » . ١٢٦ - « تقويم اللسان » مجلد .
- ١٢٧ - « الأذكياء » مجلد .
- ١٢٨ - « أخبار الحمقى والمغفلين » مجلد .
- ١٢٩ - « تلبس إبليس » مجلدان .
- ١٣٠ - « لقط المنافع » فى الطب مجلدان .
- ١٣١ - « الشيب والخضاب » مجلد .
- ١٣٢ - « أعمار الأعيان » جزء .

- ١٣٣ - « الثبات عند الممات » جزآن .
- ١٣٤ - « تنوير الغبش فى فضل السود والحبش » مجلد .
- ١٣٥ - « الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ » جزء .
- ١٣٦ - « أشراف الموالى » جزآن .
- ١٣٧ - « إعلام الأحياء بأغلاط الأحياء » .
- ١٣٨ - « تحريم المحل المكروه » جزء .
- ١٣٩ - « المصباح لدعوة الإمام المستضىء » مجلد .
- ١٤٠ - « عطف العلماء على الأمراء والأمرء على العلماء » جزء .
- ١٤١ - « النصر على مصر » جزء . ١٤٢ - « المجد العضدى » مجلد .
- ١٤٣ - « الفجر النورى » مجلد .
- ١٤٤ - « مناقب الستر الرفيع » جزء .
- ١٤٥ - « ماقلته من الأشعار » جزء . ١٤٦ - « المقامات » مجلد .
- ١٤٧ - « من رسائلى » جزء .
- ١٤٨ - « الطب الروحانى » جزء .
- ١٤٩ - « بيان الخطأ والصواب عن أحاديث الشهاب » ١٦ جزء .
- ١٥٠ - « الباز الأشهب المنقض على من خالف المذهب » .
- ١٥١ - « الوفا بفضائل المصطفى ﷺ » مجلدان .
- ١٥٢ - « النور فى فضائل الأيام والشهور » مجلد .
- ١٥٣ - « تقريب الطريق الأبعد فى فضائل مقبرة أحمد » .
- ١٥٤ - « مناقب الإمام الشافعى » . ١٥٥ - « العزلة » .
- ١٥٦ - « الرياضة » .
- ١٥٧ - « منهاج الإصابة فى محبة الصحابة » .

- ١٥٨ - « فنون الأبواب » . ١٥٩ - « الظرفاء والمتحايين » .
- ١٦٠ - « مناقب أبي بكر » . ١٦١ - « مناقب علي » مجلد .
- ١٦٢ - « فضائل العرب » مجلد .
- ١٦٣ - « درة الإكليل فى التاريخ » أربع مجلدات .
- ١٦٤ - « الأمثال » مجلد .
- ١٦٥ - « المنفعة فى المذاهب الأربعة » مجلدان .
- ١٦٦ - « المختار من الأشعار » عشر مجلدات .
- ١٦٧ - « رعوس القوارير » مجلدان .
- ١٦٨ - « المرتجل فى الوعظ » مجلد كبير .
- ١٦٩ - « ذخيرة الواعظ » أجزاء . ١٧٠ - « الزجر الخوف » .
- ١٧١ - « الأنس والمحبة » . ١٧٢ - « المطرب الملهب » .
- ١٧٣ - « الزند الورى فى الوعظ الناصرى » جزآن .
- ١٧٤ - « الفاخر فى أيام الإمام الناصر » مجلد .
- ١٧٥ - « المجد الصلاحى » مجلد . ١٧٦ - « لغة الفقه » جزآن .
- ١٧٧ - « غريب الحديث » مجلد .
- ١٧٨ - « ملح الأحاديث » جزآن .
- ١٧٩ - « الفصول الوعظية على حروف المعجم » .
- ١٨٠ - « سلوة الأحزان » عشر مجلدات .
- ١٨١ - « المعشوق فى الوعظ » .
- ١٨٢ - « المجالس اليوسفية فى الوعظ » .
- ١٨٣ - « الوعظ المقبرى » . ١٨٤ - « قيام الليل » ٣ أجزاء .
- ١٨٥ - « المحادثة » . ١٨٦ - « المناجاة » .
- ١٨٧ - « زاهر الجواهر فى الوعظ » أربع أجزاء .

- ١٨٨ - « كنز المذكر » . ١٨٩ - « النحاة الخواتيم » جزآن .
 ١٩٠ - « المرتقى لمن اتقى » .
 ١٩١ - « زين القصص » مجلد .
 ١٩٢ - « لفظة الكبد فى نصيحة الولد » .
 ١٩٣ - « القرامطة » (١) .

وفاته :

توفى رحمه الله بين العشاءين ليلة الخميس الموافقة للثانى عشر من شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة عن عمر يناهز التسعين عاماً .
 ودفن قبيل صلاة الجمعة بباب حرب بالقرب من مدفن أحمد بن حنبل رضى الله عنه .

الأصول المعتمدة للكتاب :

اعتمدت بحول الله وقوته على مصدرين لهذا الكتاب :

١ - المصدر الأول لهذا الكتاب : « المخطوطة الأم » :

عنوان المخطوطة : الياقوتة فى الوعظ .

المؤلف : عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبد الله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر القرشى التيمى البكرى ، البغدادى المعروف بابن الجوزى ، جمال الدين ، أبو الفرج (٥١٠ - ٥٩٧ هـ) .

تاريخ النسخ : ١١١٠ هـ .

اسم الناسخ : غير معلوم .

عدد الأوراق : ١١٤ .

المقاس : ١٤ × ٢١ .

(١) انظر مقدمة : زاد المسير فى علم التفسير ، لابن الجوزى - طبعة المكتب الإسلامى .

الرقم أو القيد : أخلاق تيمور ٣٢٤ .

٥٠٥٨٧

رقم الميكروفيلم : ٨٤٧٠

وفى مقدمتها إهداء ...

أقدمه لخزانة سيدى المفضل سعادة أحمد تيمور باشا أطال الله بقاءه
وأجزل به النفع للأمة ، وأنا الفقير إليه تعالى / محمد راغب الطباخ الحلبي
فى ٢٠ رجب سنة ١٣٤٣ هـ .

بداية المخطوطة :

كتاب الياقوتة فى الوعظ تصنيف الشيخ الإمام العالم الصدر الكبير
أوحد العراقيين أبى الفرج على بن الجوزى قدس الله سره ونور ضريحه وغفر
لمن قرأها وتأملها .. آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .
الحمد لله الذى قطعت أعناق الملحددين عجائب صنعته ...

والأصل الثانى : مطبوع بعنوان « اليواقيت الجوزية فى المواعظ النبوية »
الطبعة الأولى : مطبعة مصطفى محمد بمصر سنة ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م ،
وأشرنا إليها عند الاختلاف بالرمز « ب » ، ولكنه أصل به نقص كبير وقد
أكملناه بهذه المخطوطة الكاملة التى عثرنا عليها بدار الكتب المصرية التى
تعتبر ضعفه فى الحجم .

تنويه :

قبل إرسال الكتاب للمطبعة وقعت تحت يدى نسخة لكتاب باسم
« اليواقيت الجوزية فى المواعظ النبوية » حققه وعلّق عليه : السيد بن
عبد المقصود ، طبع مؤسسة الكتب الثقافية .

وهو كالأصل « ب » ، فهو نُشِرَ للنسخة الناقصة التى كانت مطبوعة
قبل ذلك ولعلها مأخوذة من أصل ناقص لم أقف عليه ، فلم يشر المحقق إلى

النسخة التي اعتمد عليها ، ولصغر حجم الكتاب أَتَبَعَهُ بكتاب آخر سَمَّاه « اللطائف في الوعظ » كقسم ثان للكتاب . وقد بذل المحقق جهداً مشكوراً في تخريجه لأحاديث الجزء الذي نشره من الكتاب وما عدا ذلك فلا أجد له جهداً . لذا لزم التنويه .

عملي في التحقيق :

- ١ - كَتَبْتُ النَّصَّ مِمَّا تَوَفَّرَ لَدَيَّ مِنْ أُصُولٍ ، واعتمدت اللفظة المناسبة عند الاختلاف ، ولم أَشِرْ لذلك بالهامش إلا عند الضرورة ، لاحترازي من عدم إطالة التعليق بغير فائدة ، ولو تتبعت ذلك لتضاعف حجم الكتاب .
 - ٢ - وضعت عنواناً لكل فصل من فصول الكتاب .
 - ٣ - التعليق على ما رأيته يحتاج لتعليق .
 - ٤ - شرح ما يحتاج إلى توضيح من الكلمات .
 - ٥ - تخريج الآيات القرآنية .
 - ٦ - تخريج ما استطعت تخريجه من الأحاديث والآثار المذكورة في هذا الكتاب .
 - ٧ - ترجمة ما استطعت التوصل إليه من الأعلام .
 - ٨ - وضع الفهارس الفنية في آخر الكتاب .
 - ٩ - عمل دراسة عن المؤلف والكتاب .
- والله أسأل أن يكون عملي خالصاً لوجهه الكريم إنه نِعْمَ المولى وَنِعْمَ النصير .

أحمد عبد الثواب عوض

* * *

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على فقال يا رسول الله
ما يبكيك فقال ان ياتيك انت فقال يا اخي ما يبكيك عنيت
منها خلق الله وجههم يخافون ان اعصيه فيميتني فحياتي قال
يهدى بولدهم فانما ان الله صلاتك حول العرش حتى يحضر
الا يخاف ان يوت القيام يمدون كانوا تتفهم ان يحضر

استوفى لغيره الذي غرضه لمدركي ما الذي يحتملكم وانتم
تسفلون يا ربنا ان اهل الارض اطلعوا على محمد بن عبد الله
على ما اطلعنا عليه ما ساعوا لها ما ولاوا ان لا ينزل
في برجمه ويخرجوا في الهياري يخرجون كما يخرج البرق قال
لكن ينجي دم صبي اهدى من الجنة بمائة عام حتى جرى
او يدبره بنده يسبي ومعه فانبت الله نذرك اودي
من دموع ادم الدار صبي والفاطمة وصحبي
والك ارا ادي العطار وبنى ثم ان جبريل الترتل ارا ادي

يا ادم ارفع رأسك فقد علم الله ارفع رأسه فبارك الله
فطاق في اسمي فانا في حضي حتى يروى وقال
ابن اسباط بن عبد بكاهل الارض بكاهل كان كان
اصك بنو اسهم و كتبت على الذنوب اعظم جري

وصح لكان في بعض الكاهل و فلان ان الكاهل و همدى
ارسلت الادمع معلوما و قال وهب بن الورد
بلاعات الله لرحا الترتل فتر على افا عفاك ان يروى
على هليلي فكا تلقا به عام حتى صلات تحت ابيته

الصفحة الأولى من المخطوطة

كتاب البارقة في الوعد تصنف الشيخ الامام العالم
العمدة الكبير واحد العراقين ابي الهمز علي بن ابي
قدس الله سره ونوعه وصرح له و عمفر
لن قراها و نام لجهيا ابرير

وصلى الله على سيدنا محمد و آله وسلم محمد بن ابي طه
ابنات المحدثين عجايب تصغره وخصت بعض الشاغل من
الطاف بجمته وهنت في اسراج العالمين السنين اذ ابره شاهه
بانه اواحدة في الاهتة القديم في حربه انهمه و على قدر
على شرف بربته محمد و الروعثرية ه هذه فصول من المخطوط
كالا فزج الراءظ - يسبح على من الصالحين يدبر في
مشالها فتعمل على المارات لا فخر و محالون ان يضره والله

الحسين الفصل الاول
انصفا لوتفكر في النفس في خيالي يدعي ان يكون حسنا
في الصا و عيضا لبعث خرفا سر به و معاليها الملعون الكاهل
طال عيضا به بخاره في العاصي ان قد طال خضرت لولده في
لخطايا فقه خفت من لهنه بين يد يملوت الشهد به في يوم
العذاب الراءظ خرس روي بن بكر قال استقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاستلمه ثم وضع شخصه عليه بيكي طويلا
فانطت فاذا هره برميكي فقال يا عوهها اشك المرات و
قال ابو عمري الجيني بلعنا ان جبريل عليه السلام جاءني

الصفحة الأولى من المخطوطة

كان قد سكرت ونور الحكمة اقتدر جدوان ان قدان
 على زوى ان قدان ودع ذلك الجنون اما سمعت ما قال
 في كتابه العجزي الكون سنسندهم جمع من حديثه لا يعلمون
 ايسر اطل قطيعي بهم القاسم اكون لاخرى
 ما ادرى ما يروح بفس المصون حتى

هفت من ذوق ما اذ هو في هذا حضون
 وقع الفاعل مع شرحه على بوم المصون است
 خامس ياتي من جهاد الاول

من سمعت سنة من المهر
 والشرق سنة من ساليه
 واقعا صامها
 ففما اهلها
 وكثير
 في كتابه العجزي الكون سنسندهم جمع من حديثه لا يعلمون
 ما ادرى ما يروح بفس المصون حتى

خذ ارباعا من حنظل قلوه كالكافال منه عز وجل فاولا انه كان من سبحين
 وقال وكان ارباعا صامها وكما جاء في حديثه عن النبي استيق الا رباعا
 في الشدة فابنهم طار فقدم من شرح الفرم على الذب ثم عام في حركتها
 حجابا ثم شرح بيقا بعد ان شرح ظاهر ارباعا المحسول ان اصل حنظل
 بالصدق في رصط الا ان كان يولد لالف حنظل كانه حنظل الفوق
 الذي يغيره ان به هان لطدي في جمع وقام به هان الفوق في جمع
 والقول يحكي ان ما اعتادت وانفت وتنان على ما مرنت غدت ووقت
 اما سمعت اوله كبري في بين ما يحكي في ولاد ان الفاعل سراجان
 العيشي يروي هو يا حضرت خطره على القلب من ذكره وهذا فانا
 اطلقت مصفيا فالت الشوق اذ عاين ابيك والحي ودين دون
 الطمان انهم يولع وما صنفوا كثرنا انما لقم تبع عان فانا اللذان
 مكثنا يندوبه ودها من مكثهم يري ان يدخل الى اللان في حنظل
 من سادة في التران فده وضوا اذ انا ملغهم كما علم ما نظر
 نظرت ولا سمعوا ولا جري بينهم مذكرة في الفرم هو كل
 فعمله كان في كركه صطرر حان لعم فاسترا هو حتى لفا رجوعه
 ثم كتاب الباقية على التانم والحال والحد شدة وحده وصلو على
 سيدة ياخذ في لاه وسلم وصالح لاهن الجوزي ابي من تملك
 الفراع ويري الحصور واستخرج من الكون الكال المصور اما
 وابتعدت عن ربح المنون اما هنا كل من سمع في النبي وعمله
 مرهون فببعضها ايها الفاعل قيل ان حنظل حركته بان يكون
 وترول الهجد المتكرون ولا تروى الى الال مال فيرم الال

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

مؤاخذة ابن الجوزي

المسمى: الياقوتة

تأليف

جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

(٥١٠٢هـ - ٥٩٧هـ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَدِّمَةُ الْمُصَنَّفِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَطَعَتْ أَعْنَاقَ الملَّحِدِينَ عَجَائِبَ صَنَعَتِهِ ،
وخصمت عقول المتفكرين لطائف حُجَّتِهِ ، وهتفت في أَسْمَاعِ العالمين
أَلْسِنَةُ أَدِلَّتِهِ ؛ شَاهِدَةً بِأَنَّهُ الْوَاحِدُ فِي أُلُوهِيَّتِهِ ، الْقَدِيمُ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ ،
وَصَلَّى اللهُ عَلَى أَشْرَفِ بَرِيَّتِهِ ^(١) ، مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَعِثْرَتِهِ ^(٢) .

هذه فصول من المواعظ ، كَالْأَنْمُودَجِ ^(٣) لِلْوَاعِظِ ، يَنْسُجُ عَلَى
مِنْوَالِهَا ، وَيُدْرَجُ فِي مِثَالِهَا ، تَشْتَمِلُ عَلَى إِشَارَاتٍ لَائِحَةٍ ^(٤) ،
وَعِبَارَاتٍ وَاضِحَةٍ ، وَاللَّهُ الْمَعِينُ .

* * *

(١) بريته : خلقه .

(٢) عترة الرجل : نسله ورهطه وعشيرته .

(٣) الأنموذج : المثال يُخْتَذَى .

(٤) لائحة : ظاهرة .

الفصل الأول

أَبْكُ عَلَى خَطِيئَتِكَ

إخواني : لو تَفَكَّرْتُ النَّفُوسَ فِيمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَتَذَكَّرْتُ حِسَابَهَا فِيمَا لَهَا وَعَلَيْهَا ، لَبَعَثَ حَزْنُهَا بِرَيْدِ دَمَهَا إِلَيْهَا ؛ أَمَا يَحِقُّ الْبُكَاءَ لِمَنْ طَالَ عِصْيَانُهُ : نَهَارَهُ فِي الْمَعَاصِي ، وَقَدْ طَالَ نُحْسرَانُهُ ، وَلَيْلَهُ فِي الْخَطَايَا ؛ فَقَدْ خَفَّ مِيزَانُهُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْمَوْتُ الشَّدِيدُ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ أَلْوَانُهُ .

روى ابن عمر ^(١) رضى الله عنهما قال : « اسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَجْرَ ^(٢) فَاسْتَلَمَهُ ، ثُمَّ وَضَعَ شَفْتَيْهِ عَلَيْهِ يَبْكِي طَوِيلًا ، فَالْتَفَتَ ، فَإِذَا هُوَ بِعُمَرَ يَبْكِي ، فَقَالَ : يَا عُمَرُ هَهُنَا تُسْكَبُ الْعَبْرَاتُ » ^(٣) .

وقال أبو عمران الجوني ^(٤) : بلغني أن جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يبكي ، فقال : يا رسول الله ما يبكيك : فقال : أَوْ مَا تَبْكِي أَنْتَ ؟ فقال : يَا مُحَمَّدُ ، مَا جَفَّتْ لِي عَيْنٌ مِنْذُ خَلَقَ اللَّهُ جَهَنَّمَ مَخَافَةَ أَنْ أَعْصِيَهُ فَيُلْقِيَنِي فِيهَا .

(١) هو : عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن ، صحابي من أعر بيوتات قریش في الجاهلية ، وكان جريئاً جهوريماً ، نشأ في الإسلام ، وهاجر إلى المدينة مع أبيه ، وشهد فتح مكة ، ومولده سنة ١٠ ق هـ بها ، ووفاته سنة ٧٣ هـ بها أيضاً ، ولما قتل عثمان عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى ، له في كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثاً . (انظر : الأعلام ١٠٨/٤) .

(٢) أي : الحجر الأسود .

(٣) الحديث ورد في تذكرة الموضوعات ، لابن القيسراني ، وهو ضعيف جداً ، وهو مروى من طريق محمد بن عون الخرساني وهو منكر الحديث ، ورواه ابن ماجه (٢٩٤٥) والحاكم (١/٤٥٤) والبيهقي في شعب الإيمان (١٣٥/١) .

(٤) أبو عمران الجوني : واعظ ، صوفى ، سمع جماعة من الصحابة ، وروى عنهم ، منهم أنس ابن مالك وجندب وابن عبد الله وعائذ بن عمرو ، وأبو برزة رضى الله عنهم . (انظر : حلية الأولياء ٣٠٩/٢ - ٣١٨) .

وقال يزيد الرقاشي^(١) : إن لله ملائكة حول العرش تجرى أعينهم^(٢) مثل الأنهار إلى يوم القيامة : يَمِيدُونَ^(٣) كأنما تَنْفُضُهُمُ^(٤) الرِّيح من خشية الله ، فيقول لهم الربَّ عزَّ وجلَّ : يا ملائكتي ، ما الذي يُخِيفُكُمْ وأنتم عبيدي : فيقولون : ياربُّنا لو أن أهل الأرض اطلَّعوا من عزِّتك وَعَظَمَتِكَ على ما اطلَّعنا : ما سَأَعُوا طعاماً ولا شراباً ، ولا انبسطوا في شربهم ، ولخرجوا في الصَّحارى يَخُورُونَ^(٥) كما تَخُور البقر .

وقال^(٦) الحسن^(٧) : بكى آدم عليه السلام حين أُهبطَ من الجنة مائة عام حتى جَرَتْ أودية سَرْنَدِيْب^(٨) من دموعه ، فَأَنْبَتَ اللهُ بذلك الوادى من دموع آدم الدارصيني^(٩) والفلفل ، وجعل من طَيْرِ ذلك الوادى الطواويس^(١٠) ،

(١) يزيد الرقاشي : هو يزيد بن إبان الرقاشي ، زاهد ، ضعيف فى الحديث ، مات قبل ١٢٠ هـ .

(انظر : التقريب ٣٦١/٢) .

(٢) تجرى أعينهم : أى بالدمع « يكون أشد البكاء » .

(٣) يَمِيدُونَ : يتحركون . (٤) انتفض الشيء : تحرك واضطرب .

(٥) يخورون : يصيحون .

(٦) هذه الأخبار التى تذكر معظمها من الإسرائيليات التى تروى على سبيل الحكاية والاتعاظ

فقط ، ولا تصدق ولا تكذب .

(٧) هو : الحسن بن يسار البصرى ، أبو سعيد (٢١ - ١١٠ هـ) ، كان إمام أهل البصرة وحرير

الامة فى زمنه . وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان الثَّسَّك ، ولد بالمدينة ، وسبَّ فى كنف

على بن أبى طالب ، واستكتبه الربيع بن زياد والى خرسان فى عهد معاوية وسكن البصرة ، وعظمت

هيئته فى القلوب فكان يدخل على الولاة فى أمرهم وينهاهم لا يخاف فى الحق لومة ، وله مع الحجاج

ابن يوسف مواقف ، وقد سلم من أذاه ، ولمَّا ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه : إني قد

ابتليت بهذا الأمر فانظر لى أعواناً يعينونى عليه ، فأجابه الحسن : أما أبناء الدنيا فلا تريد لهم ، وأما أبناء

الآخرة فلا يريدونك فاستعن بالله . أخباره كثيرة وله كلمات سائرة . توفى بالبصرة سنة ١١٠ هـ .

مصادره كثيرة منها (الحلية ١٣١/٢ ، طبقات ابن سعد ١٥٦/٧ ، الأعلام للزركلى) .

(٨) سرنديب : جزيرة معروفة بأقصى بلاد الهند طولها ثمانون فرسخاً فى مثلها ، ويقال عن

جبل بها : إنه الجبل الذى هبط عليه آدم عليه السلام ، وهو ذاهب فى السماء ، يراه البحرىون من

مسافة أيام كثيرة . (انظر : معجم البلدان) .

(٩) الدراصيني والفلفل : أسمان لنباتان .

(١٠) الطواويس : مفرد طاووس وتكتب : طاوس : طائر حسن همزته بدل من واو لأن

جمعها طواويس .

ثم إن جبريل عليه السلام أتاه وَقَالَ : يا آدم ازْفَعْ رَأْسَكَ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، ثم أتى البيت ^(١) فطاف (به ^(٢)) أسبوعاً ، فما أتمه ^(٣) حتى خاض في دموعه .

وقال ابن أسباط ^(٤) : لو عدل بكاء أهل الأرض بيكائه عليه السلام : كان بكاء آدم أكثر ^(٥) :

بَكَيْتُ عَلَى الذُّنُوبِ لِعَظْمِ جُزْمِي وَحَقُّ لِمَنْ عَصَى مُرَّ البُكَاءِ
فَلَوْ أَنَّ البُكَاءَ يَرُدُّ هَمِّي لَأَسْعَدْتُ ^(٦) الدُّمُوعَ مَعَ الدَّمَاءِ ^(٧)

قال وهيب بن الورد ^(٨) : لَمَّا عَاتَبَ اللهُ نوحاً أَنْزَلَ عَلَيْهِ ﴿ إِنَّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(٩) ، فبكى ثلاثمائة عام حتى صار تحت أعينه أمثال الجداول من البكاء ^(١٠) .

قال يزيد الرقاشي : إنما سمي (نوحاً) لأنه كان نَوْاحاً ^(١١) .

(١) ثم أتى البيت فطاف به أسبوعاً : قيل : أى المكان الذى كان سيبنى به البيت الحرام بعد ذلك ، وقد وضع قواعده شيث بن آدم ، وقيل : بل كان البيت موجوداً قبل آدم ، وقيل : الذى بناه إبراهيم عليه السلام ، فهذه الرواية إن صَحَّتْ فهي مع الرأى القائل بأن البيت كان موجوداً قبل آدم . أما الأسبوع : فهو سبع مرات ، أى طاف حول البيت سبع مرات ، ويجوز أن يكون أسبوعاً ، أى سبعا من الأيام .

(٢) فى الأصل (أ) : فيه .

(٣) فما أتمه : أى ما أتم الطواف سبع دورات ، أو ما أتم الأسبوع فى الطواف حسب معنى كلمة أسبوع ، فالضمير عائد عليه .

(٤) ابن أسباط ، هو يوسف بن أسباط (حلية الأولياء ، ترجمة رقم ٣٧٦ ج ٨) .

(٥) انظر نصاً قريباً منه فى : الدر المنثور ٨٥/١ عن ابن عباس وأخرجه ابن عساكر .

(٦) لَأَسْعَدْتُ : لَشَارَكْتُ وساعدت . (٧) الأبيات من بحر الوافر .

(٨) هو : وَهَيْبُ بْنُ الرَّزْدِ بْنِ أَبِي الرَّوْدِ ، الخزومى بالولاء ، أبو أمية ، من العبَّاد الحكماء ، من أهل مكة ، ووفاته بها ، كان من أقران إبراهيم بن أدهم ، وكان سفيان الثورى إذا حَدَّثَ النَّاسَ فى المسجد الحرام وفرغ ، قال : قوموا إلى الطَّيِّبِ ! يعنى وهيباً ، له أخبار وكلمات مأثورة ، وكان اسمه « عبد الوهاب » فصغَّرَ فقيل : « وهيب » . توفى سنة ١٥٣ هـ . (انظر : الأعلام ١٢٦/٨) .

(٩) سورة هود ، الآية ٤٦ . (١٠) أخرجه أحمد فى الزهد (١٠٨/١) .

(١١) نوحاً : الأولى نبي من أنبياء الله عليهم السلام وهو أبو البشرية الثانى .

ونَوْاحاً : صيغة مبالغة من النوح : وهو البكاء مع الحزن . وقصد باجتماع اللفظين الجناس =

أَنُوحَ عَلَى نَفْسِي وَأَبْكِي حَظِيئَةً
تَقُودُ حَطَايَا أَثْقَلتْ مِنِّي الظُّهْرَا

فِيالذَّةَ كَانتَ قَلِيلَ بَقَاؤُهَا

وَيَا حَسْرَةً دَامَتْ وَلَمْ تُبْقِ (١) لِي عُذْرًا (٢)

وقال السُّدِّي (٣) : بكى (٤) داود حتى نبت (٥) العشب من دموعه ،

فلَمَّا رماه سهم القدر جعل يَتَخَبَّطُ فِي دَمَاءِ تَفْرِيطِهِ وَلِسَانِ اعْتِذَارِهِ يُنَادِي :
اغْفِرْ لِي ، فَأَجَابَهُ : لِلْحَطَّائِينَ ، فصار يقول : اغفر لِلْحَطَّائِينَ .

قال ثابت البناني (٦) : حَشَى داود (٧) سبعة أَفْرُشٍ بِالرَّمَادِ ثم بَكَى
حَتَّى أَنْفَذَتْهَا دُمُوعُهُ .

تَصَاعَدَ مِنْ صَدْرِي الْغُرَامُ لِمُقَلَّتِي

فَعَالَبَنِي شَوْقِي بِفَيْضِ الْمَدَامِعِ

وَإِنَّ فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ قَمْرِيَةً إِذَا

بَكَيْتُ بِكَتِّ فِي الدُّوْحِ طُولَ الْمَدَامِعِ (٨)

= وإظهار الاشتقاق .

وفي الأصل (أ) : نوح . والخبر في حلية الأولياء ، للأصفهاني ج ٣ ص ٥٠ ، وأخرجه ابن أبي
حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر . (انظر : الدر المنثور ٤٧٩/٣) .

(١) في الأصل (أ) : يبقى .. (٢) الأبيات من بحر الطويل .

(٣) السُّدِّي : هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، تابعي ، حجازي الأصل ، سكن الكوفة ،
قال فيه ابن تغري بردي : « صاحب التفسير والمغازي والسُّنَنِ ، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام
الناس . توفي سنة ١٢٨ هـ . (انظر : الأعلام ٣١٧/١) .

(٤) في الأصل (أ) : بكا . (٥) في الأصل (أ) : نَبَتْ .

(انظر : سير أعلام النبلاء ٢٩٤/٥ ، طبقات المفسرين ١٠٩/١ ، الأعلام للزركلي) .

(٦) ثابت البناني : ثابت بن أسلم ، أبو محمد البصري ، التابعي ، القاص ، الزاهد ، العابد ،
أحد مفاتيح الخير . ولد سنة ٤١ هـ ، وبنانة الذين منهم ثابت البناني : هم بنو سعد بن لؤي بن غالب
وأم سعد بنانة ، وقيل : بنو سعد بن ضبيعة بن نزار ، وتوفي ثابت سنة ١٢٧ هـ .

(انظر : طبقات الصوفية ص ١٢٥ ، تذكرة الحفاظ ١٢٥/١ ، تقريب التهذيب ١١٥/١ ، حلية
الأولياء ١٨٠/٣) .

(٧) هو نبي الله داود عليه السلام . (٨) الأبيات من بحر الطويل .

قال سليمان التيمي^(١) : ما شرب داود عليه السلام شراباً إلا مزجه بدموع عينيه .

قال مجاهد^(٢) : سأل داود^(٣) ربه أن يجعل خطيئته في كفه فكان لا يتناول طعاماً ولا شراباً إلا أبصر خطيئته فبكى ، وربما أتى بالقدح ثلثاه فمد يده وتناوله ، فينظر إلى خطيئته ، ولا يضعه على شفثيه حتى يفيض من دموعه^(٤) .

وقال بعض أصحاب^(٥) فتح^(٦) : « رأيت ودموعه خالطها صفرة فقلت : على ماذا بكيت الدم ؟ قال : بكيت الدموع على تخلفي عن واجب حق الله ، والدم خوفاً أن لا أقبل ، قال : فرأيت في المنام ، فقلت : ما صنع الله بك ؟ قال : غفر لي ، قلت : فدموعك ! قال : قربتني ، وقال : يا فتح على ماذا بكيت الدموع ؟ قلت : يارب على تخلفي عن واجب حَقِّكَ ، قال : فالدم ؟ قلت : بكيت على دموعي خوفاً أن لا تُصبح لي ، قال : يا فتح ، ما أردت بهذا كله ، وعزيتي وجلالي لقد صعد إلي حافظاك

(١) سليمان بن طرخان التيمي أبو المعتمر ، نزيل التيم فنسب إليهم ، ثقة ، عابد فاضل .

(انظر : التقريب ٣١٦/١ ، طبقات ابن سعد ٢٤٦/٧) .

(٢) هو : مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي (٢١ - ١٠٤ هـ) مولى بني مخزوم ، تابعي مفسر من أهل مكة .

قال الذهبي : شيخ القراء والمفسرين ، أخذ التفسير عن ابن عباس قرأه عليه ثلاث مرات ، يقف عند كل آية يسأله : فيم نزلت ، وكيف كانت ؟ وتنقل في الأسفار ، واستقر في الكوفة ، وكان لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها : ذهب إلى « بئر برهوت » بحضرموت ، وذهب إلى « بابل » يبحث عن هاروت وماروت . أما كتابه في « التفسير » فيتقيه المفسرون ، وسئل الأعمش عن ذلك فقال : كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب ، ويقال : إنه مات وهو ساجد .

(انظر : الأعلام ٢٧٨/٥ ، سير النبلاء ص ٤ ، طبقات الفقهاء ص ٤٥) .

(٣) هو نبي الله داود عليه السلام .

(٤) به ثلثاه طعام وبه ثلثه فارغ فيمتلىء الثلث الأعلى من القدح بالدموع لكثرتها .

(٥) هو أبو إسماعيل وكان من أصحاب فتح .

(٦) هو : فتح بن سعيد الموصلي ، أبو نصر ، ت سنة ٢٣٠ هـ ، من أقران بشر الحافي ، وسرى

السقطي ، كبير الشأن في باب الورع والمعاملات ، ويقال له : الكاري أيضاً نسبة إلى الكار قرية قرب الموصل مقابلها من شرقها ، وهو غير فتح بن محمد بن وشاح الموصلي .

أربعين سنة بصِحيفَتِكَ ما فيها خطيئة ^(١) .
 أجاتنا بالصدر والرَّكْب مُتَّهَم
 رحلتُم وعُمُر الليل فينا وفيكم
 سِوَاءٌ وَلَكِنْ سَاهِرَاتٌ وَنَوْمٌ
 تَنَاءَيْتُمْ مِنْ ظَاعِنِينَ وَخَلَّفُوا
 قُلُوبًا أَبَتْ أَنْ تَعْرِفَ الصَّبْرَ عَنْهُمْ
 وَلَمَّا جَلَى التَّوْدِيعَ عَمَّا حَذَّرْتَهُ
 وَلَا زَالَ نَظْرَةَ تَتَغَنَّمُ
 بَكَيْتَ عَلَى الْوَادِي فَحَرَمْتَ مَائِهِ
 وَكَيْفَ يَحِلُّ الْمَاءَ أَكْثَرَهُ دَمٌ ^(٢)
 قال عبد الله بن عمرو ^(٣) : كان يحيى ^(٤) يَيْكِي حتى بَدَتْ ^(٥)
 أضراسه .

قال مجاهد ^(٦) : كانت الدُّمُوعُ قد اتخذت في خَدِّهِ مجرى .
 يَا مَنْ مَعْاصِيهِ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُحْصَى ، يَا مَنْ رَضِيَ أَنْ يُطْرَدَ وَيُقْصَى ،
 يَا دَائِمَ الزَّلَلِ وَكَمْ يُنْهَى وَيُوصَى ، يَا جَهُولًا بِقَدْرِنَا وَمِثْلِنَا لَا يَعْصَى ، إِنْ كَانَ
 قَدْ أَصَابَكَ دَاءُ دَاوُدَ ^(٧) ، فَفُتِحَ نَوْحُ نُوْحٍ ^(٨) ، تَحْيَا بِحَيَاةِ يَحْيَى ^(٩) .

(١) (انظر الخبر بتغيير بعض الألفاظ في طبقات الأولياء ص ٢٧٨ - ٢٧٩ ، طبعة دار المعرفة -

بيروت) .

(٢) الأبيات من بحر الطويل .

(٣) هو : عبد الله بن عمرو بن العاص من قريش (ولد سنة ٧ ق . هـ) ، صحابي من الثَّسَّانِ ،
 من أهل مكة ، كان يكتب في الجاهلية ، ويحسن السريانية وأسلم قبل أبيه فاستأذن رسول الله ﷺ
 في أن يكتب ما يسمع منه فأذن له ، وكان كثير العبادة حتى قال له النبي ﷺ : « إن لجسدك عليك
 حقًا ، وإن لزوجك عليك حقًا ، وإن لعينك عليك حقًا ... » الحديث . وكان يشهد الحروب
 والغزوات ، ويضرب بسيفين ، وحمل راية أبيه يوم اليرموك ، شهد صفين مع معاوية وولاه معاوية
 الكوفة مدة قصيرة ، ولمَّا ولي يزيد امتنع عبد الله عن بيعته وانزوى — كما تقول إحدى الروايات —
 بجهة عسقلان ، منقطعاً للعبادة ، عمى في آخر حياته ، واختلفوا في مكان وفاته ، له ٧٠٠ حديث .
 توفي سنة ٦٥ هـ . (انظر : الأعلام ١١٠/٤) .

(٤) يحيى عليه السلام ابن زكريا عليه السلام . (٥) بدت : ظهرت .

(٦) سبق ترجمته . (٧) داء داود : أي معصية داود .

(٨) فح نوح نوح : أي ابك بكاء نوح عليه السلام ، ويقال : إنما سمى نوح نوحاً لأنه كان
 نوحاً ، أي كثير البكاء من خشية الله .

(٩) تحيا بحياة يحيى : أي حياة الزهد والتقوى ، ولا يخفى ما في الكلمات من السجع الأخاذ

بأطراف القلوب .

روى عن عمر بن الخطاب^(١) رضى الله عنه أنه كان فى وجهه خطوط مُسَوَّدة من البكاء .

وَبَكَى ابْنُ مَسْعُودٍ^(٢) ، حَتَّى أَخَذَ بِكَفِّهِ مِنْ دَمُوعِهِ فَرَمَى بِهِ .
وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَمْرِ^(٣) يُطْفِئُ الْمَصْبَاحَ بِاللَّيْلِ ثُمَّ يَبْكِي حَتَّى تَلْتَصِقَ عَيْنَيْهِ .

وَقَالَ أَبُو يُونُسَ بْنِ عَبِيدٍ^(٤) : كُنَّا نَدْخُلُ عَلَيْهِ فَيَبْكِي حَتَّى نَرَوْحَمَهُ .
وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ^(٥) ، قَدْ بَكَى حَتَّى عَمَشَ .

(١) هو : عمر بن الخطاب بن نفيل القرشى العدوى ، أبو حفص (٤٠ ق هـ - ٢٣ هـ) ، ثانى الخلفاء الراشدين ، وأول من لُقِّبَ بأمر المؤمنين الصحابى الجليل الشجاع الحازم صاحب الفتوحات ، يضرب بعدله المثل ، كان فى الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم ، وله السفارة فيهم ، ينافر عنهم ، وينذر من أرادوا إنذاره ، وهو أحد العمرين اللذين كان النبى ﷺ يدعو ربه أن يعز الإسلام بأحدهما ، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين وشهد الوقائع ، أخباره كثيرة ، وله فى كتب الحديث ٥٣٧ حديثاً . قتله أبو لؤلؤة المجوسى غيلة بخنجر فى خاصرته وهو فى صلاة الصبح وعاش بعد الطعنة ثلاث ليال ودفن بجوار النبى ﷺ وأبى بكر بحجرة عائشة بالمدينة المنورة .
(انظر : الأعلام للزركلى ٤٥/٥) .

(٢) هو : عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى ، أبو عبد الرحمن : صحابى ، من أكابرهم ، فضلاً وعقلاً ، وقرباً من رسول الله ﷺ ، وهو من أهل مكة ، ومن السابقين إلى الإسلام ، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة ، وكان خادماً لرسول الله الأمين ﷺ وصاحب سره ، ورفيقه فى حله وترحاله وغزواته ، يدخل عليه كل وقت ويمشى معه ، وكان قصيراً جداً ، يكاد الجالسون يوارونه ، وكان يحب الإكثار من التطيب ، فإذا خرج من بيته عرف جيران الطريق أنه مرَّ من طيب رائحته ، له ٨٤٨ حديثاً ، توفى سنة ٣٢ هـ . (انظر : الأعلام ١٣٧/٤) .

(٣) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى [سبق ترجمته] .

(٤) هو : أبو يونس بن عبيد بن دينار العبدي ، بالولاء البصرى أبو عبد الله ، أو أبو عبيد ، من حُفَّاظ الحديث الثقات ، من أصحاب الحسن البصرى ، كان من أهل البصرة ، يبيع الخبز ونعته الذهبى بأحد أعلام الهدى ، له نحو ٢٠٠ حديث ، توفى سنة ١٤٠ هـ تقريباً .

(٥) سعيد بن جبيرة الأسدى بالولاء ، الكوفى ، أبو عبد الله ، تابعى ، ولد سنة ٤٥ هـ وكان أَعْلَمَ التابعين قاطبة ، وهو حبشى الأصل ، من موالى بنى والبة بن الحارث من بنى أسد ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر ، ثم كان ابن عباس ، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه ، قال : أتسألوننى وفيكم ابن أم دهماء ؟ يعنى سعيداً ، ولَمَّا خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، على عبد الملك بن مروان ، كان سعيد معه إلى أن قتل عبد الرحمن ، فذهب سعيد إلى مكة فقبض عليه واليها خالد القسرى ، وأرسله إلى الحجَّاج ، فقتله بواسط ، وقال الإمام أحمد بن حنبل : =

وكان أبو عمران الجوني^(١) ، إذا سمع المؤذن ، تَغَيَّرَ وفاضت عيناه .
وكان أبو بكر النهشلي^(٢) ، إذا سمع الأذان تَغَيَّرَ لونه وأرسل عينيه
بالبكاء .

وكان نهاد بن مطر العدوي^(٣) ، قد بكا حتى عمى .

وبكى ابنه العُلا ، حتى عشى بصره .

وكان منصره قد بكى حتى جردت عيناه .

وكانت أمُّه تقول : يا بني ، لو قتلت قتيلاً ما زِدْتَ على هذا .

وبكى هشام الدستوائي^(٤) حتى فسدت عيناه وكانت مفتوحة ،
وهو لا يبصر بها .

وبكى يزيد الرقاشي^(٥) أربعين سنة حتى أظلمت عيناه وأحرقت
الدموع مجاورتها .

وبكى ثابت البناني^(٦) حتى كاد بصره أن يذهب ، وقيل له : نُعَالِجُكَ ،
على أن لا تبكى ، فقال : لا خير في عين لم تبك :

بَكَى الْبَاكُونَ لِلرَّحْمَنِ لَيْلًا وَبَاتُوا دمعهم ما يسأُمُونَا

بِقَاعِ الْأَرْضِ مِنْ شَوْقِي إِلَيْهِمْ تَحُنُّ مَتَى عَلَيْهَا يَسْجُدُونَا^(٧)

= قتل الحجاج سعيداً ، وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه . (وفيات الأعيان
٢٠٤/١ ، طبقات ابن سعد ١٧٨/٦ ، تهذيب التهذيب ٤ - ١١ ، الأعلام ٩٣/٣) .

(١) سبقت ترجمته . (٢) أبو بكر النهشلي .

(٣) لم أقف على ترجمته .

(٤) هو : هشام الدستوائي سمع لقتادة ويحيى بن أبي كثير وطبقتهما من البصريين ، وحماد ابن
أبي سليمان وطبقته من الكوفيين وأبا الزبير ، وطبقته من المكيين ، وذكره أبو نعيم في حلية الأولياء رقم
٣٧٦ .

(٥) يزيد الرقاشي : هو يزيد بن أبان الرقاشي .

(٦) ثابت البناني : سبقت ترجمته .

(٧) الأبيات من بحر الهزج غير المجزوء .

كان الفضل^(١) قد أَلِفَ البُكا ، حتى ربَّما بَكَى فى نومهِ حتى يسمع أهل الدار :

وَرَقَّتْ دُمُوعُ العَيْنِ حتى كأنها دُمُوعٌ دُمُوعِي ، لا دُمُوعٌ جَفُونِي^(٢) وكان أبو عبيدة الخَوَّاص^(٣) يبكى ، ويقول : قد كبرت فاعتقنى . ويقول الحسن بن عدقة : رأيت يزيد بن هارون^(٤) بواسط^(٥) من أحسن الناس عينين ثم رأيتهُ بعد ذلك مكفوف البصر فقلت له : ما فَعَلْتَ العَيْنانِ الجميلتان ؟ قال : ذهب بهما بكاء الأَسْحَار^(٦) ، يا هذا لو عَلِمْتَ ما يُفوتك فى السَّحْرِ ما حَمَلَكَ النَّوْمُ ، تَقْدُمُ حينئذ قوافل السهر على قلوب الذَّاكِرِينَ ، وتَحُطُّ رواحِلُ المغفرة على رباعِ المستغفرين ، من لم يَذُقْ حلاوة شراب السَّحْرِ لم يَبْلُغْ عِرْفَانَهُ بالخير ، من لم يتفكر فى عمره كيف انقَرَضَ لم يبلغ من الحزن الغرض .

قيل لعطاء السليمي^(٧) : ما تشتهى ؟ قال : أشتهى أن أبكى حتى لا أَقْدِرُ أَنْ أبكى ، وكان يبكى الليل والنهار ، وكانت دموعه الدهر سائلة على وجهه .

(١) الفضل هو : أبو القاسم الفضل بن محمد بن إبراهيم السُّلَمِي .

(٢) البيت من بحر الطويل .

(٣) هو : أبو عبيدة عباد بن عباد الخَوَّاص ، والخبر فى صفة الصفوة ٢٧٥/٤ - ٢٧٦

ترجمة رقم ٨٠٠ فانظرها

(٤) يزيد بن هارون بن زاذان بن ثابت السلمى بالولاء ، الواسطى ، أبو خالد : (١١٨ -

٢٠٦ هـ) من حُفَّاظِ الحديث الثقات . كان واسع العلم بالدين ذكياً ، كبير الشأن ، أصله من بخارى ، ومولده ووفاته بواسط ، قدّر من كان يحضر مجلسه بسبعين ألفاً ، وكان يقول : أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بإسنادها ولا فخر ! وأشار البلخى إلى أن « كتاباً » فيه أحاديثه ، كُفِّ بصره فى كبره . (انظر : الأعلام ١٩٠/٨) .

(٥) مدينة واسط . (٦) الأَسْحَار : أى وقت السحر .

(٧) هو : عطاء العبدى السليمى ، وهو ذو الخوف العظيم والقلب السليم ، (ذكره أبو نعيم

الأصفهاني فى حلية الأولياء رقم ٣٦٦) .

وبكى مالك بن دينار^(١) حتى سَوَدَ طريق الدموع خَدَّيه ، وكان يقول : لو ملكت البكاء لبكيت أيام الدنيا :

ألا مالعين لا ترى قُلل الحمى ولا جبل الديان إلا استهلت

لجوخ^(٢) إذا الحبُّ بكى إذا بكَّتْ

قادت الهوى وأحلتَّ إذا كانت القلوب للخوف ورَقَّتْ^(٣)
رفعت دموعها إلى العين وقت فأعتقت رقاباً للخطايا رَقَّتْ

من لم يكن له مثل تقواهم ، لم يعلم ما الذى أبكاهم ، من لم يشاهد جمال يوسف^(٤) : لم يعلم ما الذى [ألم^(٥)] قلب يعقوب^(٦) :
من لم بيت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تُفَتَّتُ الأكياد^(٧)

فيا قاسى القلب ، هَلَّا بكيت على قسوتك ، ويا ذاهل العقل فى الهوى هَلَّا ندمت على غفلتك ، ويا مُقْبِلاً على الدنيا فكأنك فى حفرتك^(٨) ، ويا دائم المعاصى خف من غِبِّ^(٩) معصيتك ؛ ويا سيء الأعمال نُح على خطيئتك ، ومجلسنا مَأْتَمٌ للذنوب ، فابكوا فقد حلَّ مِنَّا البُكاء ، ويوم القيامة ميعادنا لكشف الستور وهتك الغطاء .

* * *

(١) هو : مالك بن دينار البصرى ، أبو يحيى ، من رواة الحديث ، كان ورعاً يأكل من كسبه ، ويكتب المصاحف بالأجرة ، توفى بالبصرة سنة ١٣١ هـ ، وقيل : ١٢٧ هـ وكان أبوه من سبى سجستان ، وقيل : من كابل . (انظر : حلية الأولياء ٣٥٧/٢ رقم الترجمة ٢٠٠) .

(٢) الجوخ : الحفر (فارسي معرب) . (٣) الأبيات من بحر الطويل .

(٤) هو : يوسف عليه السلام نبي الله بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم — أنبياء الله عليهم السلام — وكان قد أعطى شطر الجمال كله .

(٥) ساقطة من الأصل ، والإضافة ليستقيم المعنى .

(٦) هو : يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم — من أنبياء الله عليهم السلام — أبو يوسف عليه السلام وآله ، فقد عندما طرحه إخوته فى الجُبِّ وحمل إلى مصر ، وبيع ببيع الرقيق ودخل السجن ، وأصبح أميناً على خزائن مصر ، دون أن يعلم أبوه أو إخوته خبراً عنه ، فلما بحثوا عنه وجدوه .. وله سورة خاصة بقصته فى القرآن تسمى بـ « سورة يوسف » .

(٧) البيت من الوافر .

(٨) فى الأصل : حضرتك . (٩) الغب : ماء البحر الطاغى على الشاطئ .

الفصل الثاني

تفكر في يوم القيامة

إخواني تفكروا في الحشر والمعاد ، وتذكروا حين تقوم (١) الأشهاد : إن في القيامة لحسرات ، وإن في الحشر لزفرات (٢) ، وإن عند الصراط لعثرات ، وإن عند (٣) الميزان لعبرات (٤) ، وإن الظلم يومئذ ظلمات ، والكتب تحوى حتى النظرات (٥) ، وإن الحسرة العظمى عند السيئات ، فريق في الجنة يرتقون في الدرجات ، وفريق في السعير يهبطون الدركات (٦) ، وما بينك وبين هذا إلا أن يقال : فلان مات ، وتقول : ربّ ارجعوني ، فيقال : فات (٧) .

روى البخارى ومسلم في صحيحيهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم » (٨) .

وأخرجنا (٩) جميعاً من حديث أبى سعيد رضى الله عنه عن النبي ﷺ

- (١) ساقطة في « أ » والإضافة ليستقيم المعنى .
(٢) الزفرات : جمع زفرة ، والزفرة : أن يملأ الرجل صدره غمّاً ثم هو يزفر به ، والزفر يكون من شدة الأتئين وقبيحه .
(٣) في « أ » : لدى .
(٤) يياض في الأصل وأظنها لعقيات أو لعبرات .
(٥) مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ ... ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ... ﴾ الكهف من الآية (٤٩) .
(٦) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ فريق في الجنة وفريق في السعير ﴾ [الشورى - ٧] .
(٧) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني * لعلى أعمل صالحاً فيما تركت كلاً إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ .

[المؤمنون ٩٩ - ١٠٠]

- (٨) رواه البخارى في كتاب (فى الرقاق) ٧٤ فى باب ٤٧ قول الله تعالى : ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ﴾ ج ١١ ، ص ٣٩٢ ، ومسلم كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) : باب فى صفة القيامة رقم (٢٨٦٣) .
(٩) أى رواه البخارى ومسلم أيضاً ، وهو جزء من حديث طويل رواه البخارى : كتاب =

قال فى حديث : « ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهرائى ^(١) جهنم ، فقيل : يارسول الله ، وما الجسر ؟ قال : مدحضه ^(٢) ومزلة ^(٣) ، عليه خطاطيف ^(٤) وكَلَالِيْبُ ^(٥) وحسك ^(٦) ، المؤمن يَعْبُرُ عليه كالطرف ، والبرق ، وكالريح ، وكأجاويد الخيل ، فجاج مسلم ، وناج مخدوش ، حتى يَمِرَّ آخرهم يُسحب سحباً ^(٧) .

لله درّ أقوام ^(٨) أطار ذكر النار ^(٩) عنهم النوم ، وطال اشتياقهم إلى

= (التوحيد) : باب ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ (٧٤٣٩) ، ومسلم : كتاب (الإيمان) : باب معرفة طريق الرواية (١٨٣) .

(١) ظهرائى جهنم : فوقها ، يقال : أقام بين ظهرائهم : بينهم (الوسيط : ظهر) .

(٢) مدحضة : مزلفة ، تزلق من فوقه رجل المار فيهبى فى جهنم والعياذ بالله .

(٣) مزلة : موضع الزلل ، والزلة : السقطة والخطيئة .

(٤) خطاطيف : مفردا حُطَاف ، أو حَاطُوف وهو كل حديدة مُغَوَّجَة .

(٥) الكَلَالِيْبُ : مفردا كُلابٌ ، حديدة معوجة الرأس ينشل بها الشيء أو يعلق ، أو يعلق بها

اللحم وترسل فى التنور .

(٦) حسك : الحسك من الحديد ما يعمل على مثال نبات الحسك : وهو نبات من الفصيلة

الرطريطية ، له ثمرة خشنة تتعلق بأصواف الغنم وأوبار الإبل .

(٧) فكل إنسان يمر عليه بقدر عمله ودرجته عند ربه ، فأعلى الناس درجة وقرباً من الله عز وجل

من يبرون على الصراط كالطرف ، أى مثل طرف العين ، أى يبرون على الصراط قبل أن يرتد إليهم

طرفهم عند رمش العين . والذين بعدهم يبرون عليه بسرعة البرق الخاطف ، والطائفة التى تمر بعدهم

تمر على الصراط بسرعة الريح العاصفة ، والطائفة التى بعدهم فى التقوى والعمل تمر على الصراط

بسرعة كسرعة الخيل العاديّة الجيدة المسرعة .

وهذه الطوائف تنجو سالمة ، وبعد ذلك من ينجو وقد خدشته هذه الخطاطيف والكلاليب

والحسك ، حتى أن آخر من ينجو على الصراط يكون مره عليه يسحب سحباً تخطفه الكلاليب

والخطاطيف والحسك تارة ويعتدل على الصراط أخرى ، يحبوا حبواً حتى ينجيه الله من فوق متن

جهنم . أما الذين أقل منه فى التقوى والعمل الصالح والقرب من الله عز وجل ؛ فيزلون ويدحضون

فى النار والعياذ بالله .

(٨) لله در أقوام : يقال هذا لمن يمدح ويُعجب من عمله ، وهو أسلوب مشهور فى العربية

والأصل فيه : أن الرجل إذا كثُرَّ خيرُه وعطاؤه وإنالته الناس قيل : لله دره ، أى عطاؤه وما يؤخذ منه ،

فشبهوا عطاءه بدر الناقة ، ثم كثر استعمالهم حتى صاروا يقولونه لكل متعجب منه .

(٩) فى « أ » النيران .

الجنان الصوم^(١) ، فنحلت أجسادهم ، وتغيرت ألوانهم ، ولم يقبلوا على سماع العذل فى حالهم واللوم ، دافعوا أنفسهم عن شهوات الدنيا بغد^(٢) واليوم ، دخلوا أسواق^(٣) الدنيا فما تعرضوا لشراء^(٤) ولا سوم^(٥) ، تركوا الخوض فى بحارها^(٦) والعموم ، ماوقفوا بالإشمام^(٧) والروم^(٨) ، جدوا^(٩) فى الطاعة بالصلاة والصوم ، هل عندكم من صفاتهم شىء يا قوم^(١٠) ؟

قالت أم الربيع أم حيثم لولدها : يا بنى ألا تنام ؟ قال : يا أمّاه ، من جنّ عليه الليل وهو يخاف الثبات^(١١) حق له أن لا ينام . فلَمَّا رَأَتْ ما يَلْقَى من السَّهَرِ والبُكَاءِ ، قالت : يا بنى لعلك قَتَلْتَ قَتِيلًا ، قال : نعم ، قالت : ومن هذا القَتيل حتى نسأل أهله فيغفرون ، فَوَاللّهِ لو يعلمون ما تَلْقَى من السَّهَرِ والبكاءِ لَرَجِمُوكَ ، فقال : يا والدتى ، هى نفسى .
 قيل لزيد بن مزيد : مالنا لم نزل نراك^(١٢) باكياً ، وَجِلًّا خائفاً ،

- (١) فى « ب » والصوم . (٢) فى « أ » لغد .
 (٣) فى « أ » أسواق . (٤) فى « أ » بشراء .
 (٥) السوم : المساومة : وهى المفاوضة فى البيع والابتياح ، ويقصد أنهم تركوا الدنيا وراءهم واتجهوا للآخرة فكانت كل همهم ومبلغ غايتهم .
 (٦) فى « أ » بحرهما .
 (٧) الإشمام (عند جمهور النحاة والقراء) : صَبَغُ الصوت اللغوى بمسحة من صوت آخر ، مثل نطق : كثير من قيس وبنى أسد لأمثال : « قيل وبيع » بإمالة نحو واو المد ، ومثل : إشمام الصاد صوت الزاى فى قراءة الكسائى بصفة خاصة ، والإشمام أيضاً (لدى القراء وحدهم) : الإشارة بالشفتين إلى الضمة المحذوفة من آخر الكلمة الموقوف عليها بالسكون من غير تصويت بهذه الضمة .
 (٨) الروم (عند القراء) : سرعة النطق بالحركة التى فى آخر الكلمة الموقوف عليها مع إدراك السمع لها ، وهو أكثر من الإشمام ، لأنه يدرك بالسمع .
 (٩) جدوا : اجتهدوا .
 (١٠) فن التفات من لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب ، والغرض من هذا الفن ، تقوية نشاط السامعين وجذب أذهانهم ، وتطبيق القول على نفس القارئ حتى يتمثل السامع كل هذه الصفات فى نفسه ، ويحاسب نفسه .
 (١١) هكذا فى الأصل .
 (١٢) فى « أ » لم نزل والصواب ما ذكرناه .

فقال : إن الله توعدني إن أنا عصيته أن يسجنني في النار ، والله لو لم يتوعدني أن يسجنني إلا في الحَمَامِ لبكيت حتى لا تجف لي عبرة .

وكان آمد الشَّامِي ييكي وينتحب في المسجد حتى يعلو صوته وتسيل دموعه على الخصى ، فأرسل إليه الأمير : إِنَّكَ تُقْسِدُ عَلَى الْمُصَلِّينَ صَلَاتَهُمْ بِكَثْرَةِ بَكَائِكَ ، وارتفاع صَوْتِكَ ، ولو أمسكت قليلاً ، فبكي ثم قال : إِنَّ حزن يوم القيامة أورثني دموعاً غزيراً فأنا أستريح إلى ذرّها :
يا عاذل المشتاق دَعُهُ فَإِنَّهُ يطوى على الزَّفَرَاتِ غير حشاكا (١)
لو كان قلبك قلبه ما لمته حاشاك مَّا عنده حاشاكا (٢) (٣)

وعوتب عطاء السلمي (٤) في كثرة البكاء ، فقال : إني إذا ذكرت أهل النار وما يُنزَلُ بهم من عذاب الله تعالى ، مثلت (٥) نفسي بينهم فكيف لنفس تغلّ (٦) يدها وتُسحبُ إلى النار ولا تَبْكِي ؟

وقيل لبعضهم : ارفق بنفسك ، فقال : الرفق أطلب .

وقال أسلم بن عبد الملك : صَحِبْتُ رَجُلًا شهرين ، وما رأيته نائماً بليل ولا نهار ، فقلت : مالك لا تنام ؟ قال : إن عجائب القرآن أطرنَ نومي ، ما أخرج من أعجوبة إلا وقعت في أخرى .

كثر فيك اللوم فأين سمعي وَهَمُّ قلبي واللوم عليك منجد ومتهم ؟ قال : أسهرت والعيون الساهرات نُؤْمُ ، وليس من جسمك إلا جلدة وَأَعْظُمُ .. وما عليهم سهري ولا رقادى لهم ، وهل سمان الحب إلا سهر وسقم ، خذ أنت في شأنك يادمعي وخل عنهم .

(١) الحشا : مادون الحجاب مما يلي البطن كله من الكبد والطحال والكرش وما تبع ذلك .

(٢) حاشاك : كلمة يستثنى بها . (٣) الأبيات من بحر الرجز .

(٤) عطاء السلمي ، من صغار التابعين ، أدرك أنس بن مالك وسمع من الحسن البصري .

(السير ٨٦/٦ : ٨٩ وحلية الأولياء ٢١٥/٦ - ٢٢٦) .

(٥) أي تمثلت .

(٦) تغل : أي توضع في الغل ، وهو طوق من حديد أو جلد يجعل في عنق الأسير أو المجرم

أو في أيديهما . في الأصلين (أ ، ب) : تغل إلى .

الفصل الثالث

بَادِرٌ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ

طوبى ^(١) لمن بادر عُمره القصير ، فعَمَّرَ به دار المصير ، وَتَهَيَّأَ لحساب النَّاقِدِ البصير قبل فوات القدرة وإعراض النصير .

قال عليه الصلاة والسلام : « بادروا بالأعمال سبعا ، هل تنتظرون إلا فقراً مُنْسِيًّا ؟ أو غِنًى مُطْفِئاً ، أو مَرَضاً مُفْسِداً ، أو مَوْتاً مُجْهِزاً ، أو هَرَمًا مُفْنِداً ، أو الدَّجَالَ ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ ، أو السَّاعَةُ ، فَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ » ^(٢) .

كان الحسن ^(٣) يقول : عجبت لأقوام أمروا بالزاد ونودي فيهم بالرحيل ، وجلس أولُّهم على آخرهم وهم يلعبون .

وكان يقول : يابن آدم : « السكين تُشْحَدُ ^(٤) ، والتُّور يُسَجَّرُ ^(٥) ، والكبش يعتلف ^(٦) » ^(٧) .

وقال أبو حازم ^(٨) : إن بضاعة الآخرة كاسدة فاستكثروا منها في أوان

(١) طوبى : أى خير وحسنى .

(٢) الحديث رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وأشار الألبانى إلى ضعفه فى ضعيف الجامع (٢٣١٤ ، ورياض الصالحين ٩٣ ، ١٥٨) .

(٣) أى : الحسن البصرى رحمه الله ، سبقت ترجمته .

(٤) شحذ السكين : أحده بالمسنن وغيره مما يُجِدُّ حده فهو شحيد .

(٥) سَجَّرَ التُّور : ملأه وقوداً وأخمأه .

(٦) اعتلف الكبش : أكل العلف وهو طعام الحيوان .

(٧) يضرب ذلك مثلاً للإنسان : بأن الكبش قد يأكل العلف المقدم له والسكين تُشْحَدُ لذبحه ، والتُّور يسجر لطهيته ، وهو لاه ساه عن ذلك بطعامه وشرابه ، وهذا المثل يضرب للإنسان الغافل عن آخرته ، اللاهى فى دنياه ، فعلى الإنسان أن يستعد للآخرة قبل أن تأتیه الساعة بغتة وهو لا يشعر .

(٨) هو : أبو حازم سلمة بن دينار المخزومى ، ويقال له : الأعرج : عالم المدينة وشيخها وقاضيتها ، فارسى الأصل ، كان زاهداً عابداً ، بعث إليه سليمان بن عبد الملك ليأتيه ، فقال : إن كانت له حاجة فليأت ، وأما أنا فما لى إليه حاجة ، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : « ما رأيت أحداً الحكمة أقرب إلى فيه من أبى حازم » أخباره كثيرة ، توفى سنة ١٤٠ هـ .

كسادها ، فإنه لو جاء وقت نفاقها لم وصلوا فيها إلى قليل ولا كثير ، وكان عون بن عبد الله ^(١) يقول : ما أنزل الموت كُنه ^(٢) منزلته ، ما قد غدا من أجلكم ^(٣) ، مستقبل يوم لا يستكمله ، وكم من مؤمِّلٍ لِعَيدٍ لا يُدْرِكُهُ ، إنكم لو رأيتم الأجل وَمَسِيرَهُ ، بَغَضْتُمْ الأملَ وَغُرُورَهُ .

وكان أبو بكر بن عياش ^(٤) يقول : لو سَقَطَ من أَحَدِهِم دِرْهَمٌ لَظَلَّ يومه يقول : إِنَّا لله ، ذَهَبَ دِرْهَمِي وهو يَذْهَبُ عُمُرُهُ ، ولا يقول : ذَهَبَ عُمُرِي ، وقد كان لله أقوام يبادرون الأوقات ، ويحفظون الساعات ، ويلازمونها بالطاعات .

فَقِيلَ عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إنه ما مات حتى سرد الصوم ^(٥) .

وكانت عائشة ^(٦) رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تسرد ، وسرد أبو طلحة ^(٧) بعد

= (انظر : الحلية ٢٢٩/٣ ، صفة الصفوة ١٥٦/٢ ، سير أعلام النبلاء ٩٦/٦) .

(١) هو : عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أبو عبد الله الهذلي الكوفي ، أخو فقيه المدينة عبيد الله ، حدَّث عن أبيه وأخيه وابن المسيب وابن عباس وغيرهما وثقة أحمد وغيره ، من الطبقة الرابعة . توفى قبل سنة ١٢٠ هـ . (انظر : تهذيب التهذيب ١٧١/٨ - ٣١٠ والأعلام ١٠٣/٥ ، وتهذيب سير أعلام النبلاء رقم ٦٦٤) .

(٢) كُنه : حقيقة . (٣) أى ما ذهب من عمركم .

(٤) أبو بكر عياش بن سالم الأسدي الكوفي المقرئ الحافظ ، توفى سنة ٦٤ هـ ، وقيل قبل ذلك . والأثر أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣٠٣/٨ .

(٥) سرد الصوم : تابعه .

(٦) هى عائشة بنت أبى بكر الصديق عبد الله بن عثمان ، من قریش ، ولدت سنة ٩ ق هـ . أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب ، كانت تكنى بأُم عبد الله ، تزوجها النبي ﷺ فى السنة الثانية بعد الهجرة فكانت أحب نساءه إليه ، وأكثرهن رواية للحديث عنه ، ولها خطب ومواقف وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض فتجيبهم ، وكانت بمنن نغم على « عثمان » عمله فى حياته ، ثم غضبت له بعد مقتله ، فكان لها فى هودجها بموقعة الجمل ، موقفها المعروف ، توفيت فى المدينة سنة ٥٨ هـ ، روى عنها ٢٢١٠ حديثاً . (انظر : الأعلام ٢٤٠/٤) .

(٧) أبو طلحة : هو زيد بن سهل بن الأسود النَّجَارَى الأنصارى : صحابى ، من الشجعان الرماة المعدودين فى الجاهلية والإسلام ، مولده فى المدينة سنة ٣٦ ق هـ ، ولما ظهر الإسلام كان من كبار أنصاره فشهد العقبة ويدرأ وأحداً والخندق وسائر المشاهد ، وكان جهوري الصوت ، وفى الحديث : « لصوت أبى طلحة فى الجيش خير من ألف رجل » ، وكان ردف النبي ﷺ يوم خيبر ، وتوفى =

رسول الله ﷺ أربعين سنة ، وقال نافع^(١) : ما رأيت ابن عمر^(٢) صائماً في سفره ولا مفطراً في حضره .

قال سعيد بن المسيب^(٣) : ما تركت الصلاة في جماعة منذ أربعين سنة^(٤) . وكان سعيد بن جبير^(٥) يختم القرآن في ليلتين . وكان الأسود^(٦) يقوم حتى يخضر ويصفر ، وحج ثمانين حجة^(٧) .

وقال ثابت البناني : ما تركت في الجامع سادنة إلا وختمت القرآن عندها . وقيل لعمر بن هانئ^(٨) : لا نرى لسانك يفتر من الذكر فكم تُسبِّح كل يوم ؟ قال : مائة ألف ، إلا ما تخطيء الأصابع .

= في المدينة سنة ٣٤ هـ ، وقيل : ركب البحر غازياً فمات فيه . (انظر : الأعلام ٥٨/٤ - ٥٩) .
(١) هو : نافع المدني أبو عبد الله ، من أئمة التابعين بالمدينة ، كان علامة في فقه الدين ، متفقاً على رياسته ، كثير الرواية للحديث ، ثقة ، لا يعرف له خطأ في جميع ما رواه ، وهو ديلمى الأصل مجهول النسب ، أصابه عبد الله بن عمر صغيراً في بعض مغازيه ، ونشأ في المدينة ، وأرسله عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها الشنن ، توفي بالمدينة (١١٧ هـ) .

(٢) هو : عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما سبقت ترجمته .
(٣) هو : سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي ، أبو محمد ، ولد سنة ١٣ هـ ، سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع ، وكان يعيش من التجارة بالزيت ، لا يأخذ عطاءً ، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأفضيته حتى سُئِمَ راوية عمر ، توفي بالمدينة سنة ٩٤ هـ .

(انظر : طبقات ابن سعد ١١٩/٥ ، الحلية ١٦١/٢ وبه الخبر) .
(٤) قريب منه في السير للذهبي ٢٢١/٤ « ما سمعت المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد » .
قال الذهبي : إسناده ثابت والأثر عنه أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢٧٣/٤ .
(٥) هو : سعيد بن جبير الأسدي سبقت ترجمته .

(٦) هو : الأسود بن يزيد بن قيس النخعي ، تابعي ، فقيه من الحُفَظ ، كان عالم الكوفة في عصره ، توفي سنة ٧٥ هـ . (انظر : الذهبي سير أعلام النبلاء ٥٢/٤) .

(٧) أرى أن في هذا الخبر مبالغة ، إذ كيف يحج ثمانين حجة وهو متوفى سنة ٧٥ هـ ، فهذه الأخبار وإن كانت تحت على صالح الأعمال والافتداء بصلاح الغير إلا أنها مستحيلة الوقوع كما ذكرنا .

(٨) عمر بن هانئ العنسي الداراني ، أبو الوليد ، تابعي من رجال الدولة الأموية ، من أهل « داريا » بالشام ، استنابه الحجاج على الكوفة ، وولى خراج دمشق لعمر بن عبد العزيز ولماً ولّى الوليد بن يزيد اتهم عمر بالتحريض على قتله ، ولماً ثار أهل الغوطة على مروان بن محمد ، وولوا =

وصام منصور بن المعتمر^(١) أربعين سنة وقام ليلها ، وكان الليل كله يبكي فتقول له أمه : يا بني قَتَلْت قَتِيلًا ، فيقول : أنا أعلم بما صَنَعْتُ نفسي . قال الجماني : لَمَّا حضرت أبو بكر بن عَيَّاش الوفاة بكت أخته ، فقال : لا تَبْكِي ، وأشار إلى زاوية في البيت ، إنه قد ختم أخوك في هذه الزَّاوِيَةِ ثمانية عشر ألف ختمة^(٢) .

قال الربيع^(٣) : وكان الشافعي^(٤) رضى الله عنه يقرأ في كل شهر ثلاثين ختمة ، وفي كل شهر رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ في الصلوات^(٥) ، واعلم أن الراحة لا تنال بالراحة ، ومعالي الأمور لا تنال بالفتور ، وَمَنْ زَرَعَ حَصَدًا ، وَمَنْ جَدَّ وَجَدَ .

لله ذُرُّ أقوام شغلهم تحصيل زادهم ، عن أهاليهم وأولادهم ، ومال بهم ذِكْرُ المَالِ عن المَالِ في معادهم ، وصاحت بهم الدنيا فما أجابوا شغلًا

= عليهم يزيد بن خالد القسري ، وحاصروا دمشق ، كان عمر من كبارهم ، وقُتِلَ مع يزيد بن خالد على أبواب دمشق ، وحمل رأسه على رمح إلى مروان بن محمد ، وكان بحمص ، وذلك سنة ١٢٧ هـ . (انظر : الحلية ١٥٧/٥ وسير أعلام النبلاء ٤٢١/٥ وشذرات الذهب ١٧٣/١ وتهذيب التهذيب ١٤٩/٨) .

(١) في الأصل : « ابن المعتم » هو منصور بن المعتمر بن عبد الله بن ربيعة .
(انظر : تهذيب التهذيب ٢١٣/١٠ ورجال صحيح البخارى ٧٠٨/٢ ، والخبر في حلية الأولياء ٥ ص ٤١ وصفة الصفوة ٣ ص ١١٢) .
(٢) أرى أن في هذا الخبر شيء من المبالغة .

(٣) هو : الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادى بالولاء المصرى ، أبو محمد ، ولد سنة ١٧٤ هـ ، صاحب الإمام الشافعي وراوى كتبه ، وأول من أملى الحديث بجامع طولون ، كان مؤذنًا ، وفيه سلامة وغفلة ، ولد سنة ١٧٤ هـ ومات بمصر سنة ٢٧٠ هـ .
(انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء ج ١ ، ص ٤٩١ رقم ٢٢٠٩) .

(٤) هو : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى القرشى المطلبى أبو عبد الله ، ولد سنة ١٥٠ هـ ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه نسبة الشافعية كافة ، ولد في غزة بفلسطين وحمل منها إلى مكة وهو ابن ستين ، وزار بغداد مرتين وقصد مصر سنة ١٩٩ هـ فتوفى بها وقبره معروف بالقاهرة ، كان من أشعر الناس وآدابهم وأعرفهم بالفقه والقراءات وكان من أرمى الناس ، أفتى وهو ابن عشرين سنة ، وكان ذكيًا مفرطًا ، وله تصانيف كثيرة أشهرها كتاب « الأم » في الفقه ، توفى سنة ٢٠٤ هـ . (انظر : الأعلام ٢٦/٦) .

(٥) وأرى أن في هذه الأخبار مبالغة إذ كيف يختم القرآن في اليوم مرتين أو مرة واحدة .

بمرادهم ، وَتَوَسَّدُوا أَحْزَانَهُمْ^(١) بدلاً عن وِسَادِهِمْ ، واتخذوا الليل مَسَلَكًا
لجهادهم واجتهادهم ، وحرسوا جوارحهم من النار عن غِيِّهِمْ وفسادهم ،
فيا طالب الهوى جُزْ^(٢) بناديهم ونادهم :

أَحْيُوا فُرَادِي وَلَكِنَّهُمْ عَلَى صَيْحَةٍ مِنَ الْبَيْنِ مَاتُوا جَمِيعًا
حَرُمُوا^(٣) رَاحَةَ النَّوْمِ أَجْفَانَهُمْ وَلَقُّوا عَلَى الزَّفَرَاتِ الضُّلُوعَا
طُوالِ السَّوَاعِدِ شُمَّ الْأَنْوْفِ فَطَابُوا أَضْوَالًا وَطَابُوا فُرُوعًا^(٤)

أقبلت قلوبهم تراعى حق الحق فذهلت بذلك عن مناجاة الخلق .
فالأبدان بين أهل الدنيا تسعى ، والقلوب فى رياض الملكوت ترعى ، نازلهم
الخوف فصاروا والهين ، وناجاهم الفكر فعادوا ، خائفين^(٥) ، وجنَّ عليهم
الليل فباتوا ساهرين ، وناداهم منادى الصَّلاح ، حتى على الفلاح ، فقاموا
متهجدين ، وهبَّتْ عليهم ريح^(٦) الْأَشْحَارِ فتيقظوا مستغفرين ، وَقَطَعُوا بَنَدَ
المجاهدة فأصبحوا واصلين ، فلَمَّا رَجَعُوا وَقَتَّ الفجر بالأجر بادی الهجر
يا خيبة النائمين .

* * *

(١) توسدوا أحزانهم : وضعوا رءوسهم عليه ، أى لم يفكروا إلا فى حزنهم .

(٢) جُزْ : اعبر .

(٣) فى (ب) : حموا .

(٤) الأبيات من بحر الكامل .

(٥) ساقطة والزيادة من عندنا ليستقيم المعنى .

(٦) هكذا فى الأصل وأظنها رباح .

الفصل الرابع أذكار الموت

إخواني : أكثروا من ذكر هاذم اللذات وتفكروا في انحلال بناء اللذات ، وتصوّروا مصير الصّورِ إلى الرّفات ، وأعدّوا عُدةً تكفي في الكيفات^(١) ، واعلموا أن الشيطان لا يتسلط على ذاكر الموت ، وإنما إذا غفل القلب عن ذكر الموت دخل العدو من باب الغفلة .

قال الحسن^(٢) : إن الموت فضح الدنيا فلم يترك لذي لب به فرحاً .

وقال يزيد بن تميم : من لم يردعه^(٣) الموت والقرآن ، ثم تناطحت عنده الجبال لم يرتدع .

سئل ابن عياض^(٤) عن ، ما بال آدمي تُشتتْزَعُ نفسه ، وهو ساكت ، وهو يضطرب من القرصة ؟ قال : لأن الملائكة توفقه .

يابن آدم ، مثلُ تلك الصّرعة قبل أن تذر كل غرة فتتمنى الرّجعة ، وتَسأل الكرة ، كم من مُحتَضِرٍ تمنى الصّحة للعمل هيهات حقّر عليه بلوغ الأمل أو ما يكفي في الوعظ مصرعه ، أو ما يشفى من البيان مضجعه .. أما فاته مقدوره بعد إمكانه .. أمّا أنت عن قليل في مكانة .

ولمّا احتضر عبد الملك بن مروان^(٥) قال : والله لو ددت أنّي عبْدُ

(١) الكفات : أي القبر ، لأنه يجمع عظام الموتى . (٢) هو : الحسن البصري (سبقت ترجمته) .

(٣) يردعه : يزجره ويكفه ويمنعه عن فعل المعاصي .

(٤) ابن عياض هو : الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي ، أبو علي : شيخ الحرم

المكي ، ولد سنة ١٠٥ هـ ، من أكابر العبّاد الصّلحاء . كان ثقة في الحديث ، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي ، ولد في سمرقند ، ونشأ بأبيورد ، ودخل مكة والكوفة وهو كبير ، وأصله منها ، ثم سكن مكة وتوفى بها ، من كلامه : « من عرف الناس استراح » . (انظر : الأعلام ١٥٣/٥) .

(٥) هو : عبد الملك بن مروان بن الحاكم الأموي القرشي أبو الوليد ، ولد سنة ٢٦ هـ ، من

أعظم الخلفاء ودهاتهم ، نشأ في المدينة ، فقيهاً واسع العلم ، متعبداً ناسكاً ، وشهد الدار مع أبيه واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة ، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥ هـ ، =

رَجُلٍ مِنْ تَهَامَةَ^(١) أَرَعَى غَنِيمَاتٍ فِي جِبَالِهَا وَأَنَّى لَمْ أَلِ^(٢) .

وجعل المعتضد^(٣) يقول عند موته : ذهبت الحِجِيلُ فلا حِيلةٌ حتى صَمَتَ .

وقال أبو محمد العجلي : دخلت على رجل في النزع فقال لي : سَخِرْتُ بِي الدُّنْيَا حتى ذهبت أَيَّامِي ، وفي الحديث : « أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ أَكْثَرْتُمْ ذِكْرَ هَازِمِ اللِّذَاتِ^(٤) !؟ »^(٥) .

يا من قد امتطى بجهله مطايا المطالع ، لقد ملأ الواعظ في الصباح المسامع ؛ تالله لقد طال المدى فأين المدامع ؟ أين الذين بلغوا المنى فما لهم في المنى منازع ، رمتهم المنايا بسهامها في القوى والقواطع ، فعلموا أن أَيَّام النِّعم في زمان الخوادم ، مازال الموت يدور على الدوام حتى طوى الطوالع ، صار الجنادل^(٦) فراشهم بعد أن كان الحرير فيما مضى المضاجع ، ولقوا والله غاية البلاء في تلك البلاقع^(٧) ، جمعوا فما أكلوا الذي جمعوا ،

= فضبط أمورها وظهر بمظهر القوة ، وهو أول من صك الدينار في الإسلام ، وأول من نقش بالعبية على الدراهم ، ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية وضبطت الحروف بالنقط والحركات ، توفي سنة ٨٦ هـ بدمشق . (انظر : الأعلام ٤/١٦٥) .

(١) تهامة : صحراء بالجزيرة العربية .

(٢) لم أَلِ : أتولى ولاية وأملكها وأقوم على أمرها ، أى يتنم لولايته على المسلمين لعظم المسئولية أمام الله .

(٣) هو : أحمد بن طلحة بن جعفر أبو العباس المعتضد بالله ابن الموفق بالله ابن المتوكل ، خليفة عباسي ، ولد سنة ٢٤٢ هـ ونشأ ومات في بغداد ، كان عون أبيه في حياته أيام خلافة المعتضد ، وأظهر بسالة ودراية في حروبه مع الزنج والأعراب وهو في سن الشباب ، وبويع بالخلافة بعد وفاة عمه المعتضد سنة ٢٧٩ هـ فحلَّ عن بنى العباس عقدة المتغلبين ، وظهر بمظهر الخلفاء العاملين ، ثم جعل يتوجه بنفسه إلى أصحاب الشَّعب في البلاد فيجمع ثائرتهم ، حج وغزا وجالس المحدثين وأهل الفضل والدين ، توفي سنة ٢٨٩ هـ . (انظر : الأعلام ١/١٤٠) .

(٤) هازم اللذات : الموت .

(٥) الحديث طويل ، رواه الترمذى عن أبي سعيد الخدرى وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب ، في باب ما جاء في ذكر الموت (٢٣٠٧) ، وأخرجه النسائي في كتاب الجنائز ، باب كثرة ذكر الموت ٤/٢٠٤ ، وابن ماجه ٤٢٥٨ ... وغيرهم .

(٦) الجنادل : مكان في مجرى النهر فيه حجارة تشتد حولها سرعة التيار وتتعدر الملاحة .

(٧) البلاقع : جمع بلقع والبلقع من كل شيء ، الخالي ، وفي الحديث : « اليمين الكاذبة تدع

الديار بلاقع » .

وبنوا مساكنهم فما سكنوا ، فكأنهم كانوا بها ظُئناً^(١) لما استراحوا ساعة ظعنوا^(٢) . لقد أمكنت الفرصة أيها العاجز ، ولقد زال القاطع وارتفع الحاجز ، ولاح نور الهدى فالجيب فائز ، وتعاضمت الرغائب وتفاقت^(٣) الجوائز^(٤) ؛ فأين الهمم العالية ، وأين النجائز^(٥) ؟ أما تخافون هادم اللذات والمنى والمناجز^(٦) . أما اعوجاج القناة دليل الغامز^(٧) . أما الطريق طويل وفيه المفاوز^(٨) . أما عقاب العتاب تحوى الهزاهز^(٩) . أما القبور قنطرة العبور فما للمجاوز . أما يكفى فى التنقيص^(١٠) حمل الجنائز . أما العدد كثير فأين المبارز^(١١) ؟ أما الحرب صعب والهلك ناجز^(١٢) ، والقنا مسوغ والطعن واجز^(١٣) ، والأمر عزيز والرماح البوس نواكز^(١٤) . تالله بطلت الشجاعة من بنى العجائز ، وتزيد إصلاح نادك والأمر ناشز^(١٥) . إن لم يكن سبق الصديق فليكن توبة ماعز^(١٦) .

* * *

- (١) ظعنًا : رُحلاً ، أى مرتحلين . (٢) ظعنوا : ارتحلوا وسافروا .
(٣) تفاقت : تفاقم الشيء ، عظم شره واستفحل .
(٤) الجوائز : الرافعين أصواتهم المتضرعين المستغيثين .
(٥) النجائز : الذين ينجزون الأمور ، أى يقضونها فى سرعة .
(٦) المناجز : المناجزة فى القتال ، أى المبارزة والمقاتلة .
(٧) الغامز : العائب .
(٨) المفاوز : جمع مفازة : وهى الفوز والنجاة وتطلق على الصحراء بتسمية الشيء بضد اسمه تفاؤلاً : أى فيه الصحراوات المهلكات .
(٩) الهزاهز : من الماء الكثير الجرى يهتز من صفائه .
والهزاهز : جمع هزهة : وهى الفتنة يهتز فيها الناس ويتلون .
(١٠) التنقيص : الموت . . . (١١) المبارز : المقاتل .
(١٢) ناجز : حاضر معجل . (١٣) واجز : وجز الكلام : قل فى بلاغه .
(١٤) نواكز : جمع نكز : أى طعن . (١٥) ناشز : مرتفع .
(١٦) هو : ماعز الأسلمى الذى زنى ، وقصته مشهورة ، وفى بعض طرق الحديث عنه قول النبى ﷺ : « لقد تاب توبة لو قُسمت بين أمة لو سعتهم » رواه مسلم (١٦٩٥) فى الحدود .

الفصل الخامس ذم الدنيا

أيها العبد : تَفَكَّرْ فِي دُنْيَاكَ كَمَا قَتَلْتَ ، وَتَذَكَّرْ مَا صَنَعْتَ بِأَقْرَانِكَ ،
وَمَا فَعَلْتَ ، واحذرهما فإنها عمَّا لا بد منه قد شغلت ، وإيَّاكَ أَنْ تُسَاكِنَهَا فَإِنَّهَا
إِنْ حَلَّتْ رَحَلَتْ .

روى عمار بن ياسر^(١) رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ « مَرَّ
بِشَاةٍ مَيِّتَةٍ قَدْ أَلْقَاهَا أَهْلُهَا ، فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الدُّنْيَا أَهْوَنُ
عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا »^(٢) . وكان يقول في صِفَةِ الدُّنْيَا : « أَوْلَاهَا
عَنَاءٌ ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ . حَلَالُهَا حِسَابٌ وَحَرَامُهَا عِقَابٌ . مَنْ اسْتَعْنَى بِهَا
فُتِنَ ، وَمَنْ افْتَقَرَ إِلَيْهَا حَزَنَ ، وَمَنْ سَعَى لَهَا فَاتَتْهُ ، وَمَنْ نَأَى عَنْهَا أَتَتْهُ ،
وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ ، وَمَنْ بَصَرَ بِهَا بَصَرْتَهُ » .

وصفها بعض العلماء ، فقال : جَمَّةُ المَصَائِبِ ، رَنَقَةُ المَشَارِبِ ،
لا تَقْبَلُ لِصَاحِبِ .

وقال يحيى بن معاذ^(٤) : الدنيا خمر الشيطان : من شربها لم يَفِقْ إِلَّا
بين عساكر الموتى ، نادماً بين الخاسرين قد ترك منها لغير ما جمع ، وتعلق

(١) هو : عمار بن ياسر بن عامر الكنانى المذحجى العنسى القحطانى ، أبو اليقظان : صحابى
جليل ، من الولاية الشجعان ذوى الرأى ، وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهريه ، هاجر إلى المدينة
وشهد بدرًا وأحدًا ، والخنديق ، وبيعة الرضوان ، وكان النبي ﷺ يسميه (الطيب المطيب) ، وهو
أول من بنى مسجداً فى الإسلام (بناه فى المدينة وسماه قباء) وولاه عمر الكوفة ، فأقام زمناً وعزله
عنها وشهد الجمل وصفين مع على ، وقتل فى صفين وعمره ثلاث وتسعون سنة ، له ٦٢ حديثاً ،
ولد سنة ٥٧ هـ وتوفى سنة ٣٧ هـ . (انظر : الأعلام ٣٦/٥) .

(٢) فى الأصل : أنه ﷺ .

(٣) رواه البخارى ، باب الذبائح ص ٣٠ والبيوع ص ١٠١ ، ورواه النسائى وفى موطأ الإمام
مالك ، الصيد ص ١٦ ورواه أحمد فى مسند ٢٦٢/١٥ ، ٣٢٩ ، ٣٦٥ ، ٣٢٩/٦ .

ورد الحديث بروايات عن جابر بن عبد الله ، والمستورد بن شداد ، وأنس بن مالك ، وأبى هريرة ،
وابن عباس ، وسهل بن سعد ، وعبد الله بن ربيعة ، وابن عمر ، وأبى الدرداء ، وأبى موسى الأشعري .

(٤) هو : يحيى بن معاذ بن جعفر الرازى ، أبوزكريا ، واعظ ، زاهد لم يكن له نظير فى
وقته ، من أهل الرأى ، أقام ببلخ ، ومات فى نيسابور ، له كلمات سائرة ، توفى سنة ٢٥٨ هـ .

(انظر : الأعلام ١٧٢/٨) .

بحبل غرورها فانقطع ، وقدم على من يحاسبه على الفتيل^(١) والنقير^(٢) والقطمير^(٣) ، فيما انقرض عليه من الصغير والكبير ، يوم تزل بالعصاة القدم ، ويندم المسيء على ما قَدَّم .

يا من حَيَات حَيَاتِهِ بِالْآفَاتِ لَوَادِغٍ^(٤) ، وَأَغْرَاضِهِ الْمُنْقَلِبَةَ إِلَيْهَا مُنْقَلِبَةً زَوَائِغٍ^(٥) ، وَشَيَاطِينَ هَوَاهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا هُوَ^(٦) لَهُ نَوَازِعٍ ، وَسَهَامٍ سَهْوِهِ فِي لَهْوِ دِينِهِ بَوَالِغٍ قَدْ جَرَحَتْ الْحَجَرَ عَلَى قَلْبِهِ فَأَنْسَاهُ الْحَجَرَ الدَّمَغِ ، إِنْ وَعِظَ فَسَاهُ ، وَإِنْ قَوْمٌ فَرَائِغٌ ، قَلْبُهُ مَلَّانٌ بِالْهَوَى ، وَمَنْ التَّقَى فَارِغٌ كَأَنِّي بَكَ^(٧) ، وَسَيْفِ الْمَمَاتِ فِي دَمِ الْحَيَاةِ وَالْغِ^(٨) ، نَازِلَكَ فَانزِلَكَ بِالنَّوَى عَنِ الْأَعَالَى النَّوَابِغِ ، وَتَقْضَى التِّيَامِنِ نَبَاتِ سَلْبِ الْحَلِيِّ الصَّايِغِ ، وَمَرَّ إِلَيْكَ فَمَرَّ عَلَيْكَ الشَّرَابِ السَّايِغِ ، وَطَمَسَ شَمْسُ عِزِّكَ الْمَنِيرَاتِ النَّوَازِغِ وَخَرَقَ دُرُوعَ الْمَنِيْعَاتِ السَّدَايِغِ ، أَيْنَ مِنْ جَمْعِ الْأَمْوَالِ وَحَمَاهَا ، وَهَاهُنَا لَمَنْ جَمَعَهَا وَاقْتَنَاهَا ، تَنَاهَى أَجْلُهُ وَمَا تَنَاهَى ، كَمْ سَلَبْتَ الدُّنْيَا أَقْوَاماً أَقْوَاماً كَانُوا فِيهَا وَعَادَتْ عِزَّهُمْ أَحْلَاماً^(٩) أَحْلَاماً ، فَتَفَكَّرْ فِي حَالِهِمْ كَيْفَ حَالٍ ، وَانظُرْ إِلَى مَنْ مَالَ^(١٠) إِلَى مَالٍ ، وَتَدَبَّرْ أَحْوَالَهُمْ إِلَى مَاذَا آلٍ^(١١) ، وَتَيَقَّنْ أَنَّكَ لِأَحَقَّ بِهِمْ بَعْدَ لَيْالٍ ، عُمْرُكَ فِي مُدَّةٍ وَنَفْسُكَ مَعْدُودٌ ، وَجِسْمُكَ بَعْدَ مَمَاتِكَ مَعَ دُودٍ ، كَمْ أَمَلْتَ أَمَلًا فَانْقَضَى الزَّمَانُ وَفَاتَكَ ، وَمَا أَرَاكَ تَفِيْقُ حَتَّى تَلْقَى وَفَاتَكَ ، فَاحْذَرْ زَلْلَ قَدَمِكَ ، وَخَفْ طَوْلَ نَدَمِكَ ، وَاعْتَنِمِمْ وُجُودَكَ قَبْلَ عَدَمِكَ ، وَاقْبَلِ نَصْحِي لَا تَخَاطِرَ بِدَمِكَ .

(١) الفتيل : ما فتله الإنسان بين أصابعه من خيط أو وسخ ويضرب به المثل في الشيء الصغير . قال تعالى : ﴿ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [الإسراء - ٧١] .

(٢) النقير : ما نقر من الحجر والخشب ونحوهما ، ويضرب به المثل في الشيء الضعيف . قال تعالى : ﴿ وَلَا يَظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء - ١٢٤] .

(٣) القطمير : القشرة الرقيقة على النواة كاللُفَّافَة لها ويضرب مثلاً في الشيء الحقير . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ [فاطر - ١٣] .

(٤) لوادغ : لدغته الحية ، عضته .

(٥) زاغ عن الطريق : عدل .

(٦) في (ب) : مهو .

(٧) في الأصل : كأنك بك .

(٨) الولغ : شرب السباع بألسنتها .

(٩) في الأصل : أحلاماً أحلاماً .

(١٠) مال : الأولى : من الميل ، والثانية : من الأموال . (١١) آل : رجع .

قَمِ اللَّيْلَ وَاتْرُكِ التَّكَاثُلَ

لله درّ أقوام هجروا لذيد المنام وتنصلوا^(١) لما نصبوا له الأقدام ، وانتصبوا للنصب فى الظلام ، يطلبون نصيباً من الإنعام ، إذا جنّ الليل سهروا ، وإذا جاء النهار اعتبروا ، وإذا نظّروا فى غيوبهم استغفروا ، وإذا تفكّروا فى ذنوبهم بكوا وانكسروا .

قال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وإنه قُرْبَةٌ إلى ربكم ، ومغفرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم »^(٢) .

وفى المسند عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « عجب ربنا من رجلين : رجل ثار^(٣) عن وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته ، ورجل غزا فى سبيل الله فانهزموا فعلم ما عليه فى الفرار وما له فى الرجوع فرجع حتى أهرق^(٤) دمه »^(٥) .

قال أبو ذر^(٦) رضى الله عنه : سألت رسول الله ﷺ « أى صلاة

(١) تنصلوا : تنصلوا من الشيء : خرجوا .

(٢) رواه أحمد والترمذى فى كتاب (الدعوات) باب فى دعاء النبى ﷺ رقم (٣٥٤٩) وقال : غريب صحيح ، ورواه الحاكم والبيهقى عن بلال رضى الله عنه ، ورواه الترمذى أيضاً والحاكم والبيهقى عن أبى أمامة ، ورواه ابن عساكر عن أبى الدرداء ، والطبرانى عن سلمان ، وابن الشئبى عن جابر ، وفى كنز العمال رقم (٢١٤٠٩) .

(٣) ثار : هاج وانتشر . (٤) أهرق : أهرق الماء : صبّه .

(٥) رواه أبو داود ، باب الجهاد ٣٢٦/٢ وأحمد ٤١٦/١ ، (٣٩٤٩) ، وقال العلامة أحمد

شاکر : إسناده صحيح .

(٦) أبو ذر الغفارى هو : جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد ، من بنى غفار ، من كنانة بن خزيمية ، أبو ذر : صحابى من كبارهم ، قديم الإسلام يقال : أسلم بعد أربعة وكان خامساً ، يضرب به المثل فى الصدق ، وهو أول من حيّا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام . هاجر بعد وفاة النبى ﷺ =

الليل أفضل ؟ قال : نصف الليل وقليل فاعله « (١) .

قال داود عليه السلام : يارب ، أى ساعة أقوم لك ؟ فأوحى الله إليه : يا داود ، لا تقم أول الليل ولا آخره ، ولكن قم فى شطر الليل حتى تخلو بى وأخلوا بك ، وارفع إلى حوائجك « (٢) .

وروى عمر بن عبسة (٣) عن النبى ﷺ أنه قال : « أقرب ما يكون الربُّ من العبد فى جوف الليل الآخر ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة ؛ فكن » (٤) .

كان همام بن الحارث (٥) يدعو : اللهم ارزقنى سهراً فى طاعتك ، فما كان ينام إلا هنيهة وهو قاعد ، وكان طاوس (٦) يتقلب على فراشه ثم

= إلى بادية الشام ، فأقام إلى أن توفى أبو بكر وعمر وولى عثمان ، فسكن دمشق وجعل ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء فى أموالهم ، فاستقدمه عثمان ، فأمره عثمان بالرحلة إلى الربذ (من قرى المدينة) فسكنها إلى أن مات سنة ٣٢ هـ ، وروى البخارى ومسلم ٢٨١ حديثاً .
(انظر : الأعلام ١٤٠/٢) .

(١) رواه النسائى (١٩٦/٩) تحفة الأشراف ، وابن حبان (٦٤٨ - موارد) ، وأحمد (١٧٩/٥٠) .

(٢) أورده الحافظ ابن رجب فى الطائف - المعارف ص ٤١ .

(٣) فى الأصل : (عمر بن عبسة) وأظن أن الصواب ما ذكرناه ، وعمرو بن عبسة بن خالد بن حذيفة أحد السابقين إلى الإسلام ، وكان من أمراء الجيش يوم وقعة اليرموك . مات بعد سنة ٦٠ هـ .

(انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء ٧٣/١ رقم ١٩٤ ، حلية الأولياء ١٥/٢ رقم ١٠٧) .

(٤) رواه ابن ماجه (رقم ٢٠٠) وفى إسناده مجالد وهو ابن سعيد وهو لين ، فإسناده ضعيف .

ورواه الترمذى ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، غريب إسناده . (ومعنى كلام الترمذى :

أنه غريب لا يعرفه إلا من هذا الوجه ، والحديث بإسناد الترمذى سنده صحيح ، صححه الحاكم ووافقه الذهبى) .

(٥) هو : همام بن الحارث النخعى ، الكوفى الفقيه ، حدّث عن عمر وعمّار بن ياسر ، والمقداد

ابن الأسود وغيرهم ، وثقّه يحيى بن معين . توفى فى زمن الحجاج الثقفى .

(انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء ١٤٧/١ رقم ٤٨٥) .

(٦) طاوس : هو طاوس بن كيسان الخولانى الهمدانى بالولاء ، أبو عبد الرحمن : من أكابر

التابعين تفقهاً فى الدين ورواية للحديث وتقشفاً فى العيش ، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك ، =

يدرجه^(١) ويقول : طَيَّرَ ذكر جهنم نوم العابدين .

وقال القاسم بن راشد الشيباني : كان ربيعة^(٢) نازلاً بيننا ، وكان يصلي ليلاً طويلاً ، فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته : يأيها الركب المعرّسون : أهذا الليل تنامون ، ألا تقومون فترحلون ، قال : فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع . فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته : عند الصباح يحمد القوم السرى^(٣) .

وكان كهمس يختم في الشهر تسعين ختمة .

قال الضحّاك^(٤) : أدركت قوماً يستحيون من الله في سواد هذا الليل من طول الضجعة .

يا منازل الأحياب : أين ساكنوك ؟ يا بقاع الإخلاص : أين قاطنوك^(٥) ؟
يا مواطن الأبرار : أين عامروك ؟ يا مواضع التهجد : أين زائررك ؟ خلت
والله الديار ، وباد القوم ، وازتحلّ أرباب السّهَرِ وبقي أهل النوم ، واستبدل
الزّمان أكل الشهوات يا أهل الصّوم :

= أصله من الفرس ، ومولده سنة ٣٣ هـ باليمن ونشأ بها وتوفى بالمزدلفة أو بمنى سنة ١٠٦ هـ ، وكان هشام ابن عبد الملك حاجّاً تلك السنة فصلّى عليه .

(انظر : سير أعلام النبلاء ٣٨/٥ ، شذرات الذهب ١٣٣/١ ، حلية الأولياء ٢٣/٤) .

(١) يدرجه : يطويه .

(٢) هو : ربيعة بن فروخ التيمي بالولاء المدني أبو عثمان : إمام حافظ ، فقيه ، مجتهد ، كان بصيراً بالرأى (وأصحاب الرأى عند أهل الحديث ، هم أصحاب القياس ، لأنهم يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثاً أو أثراً) فلقب ربيعة الرأى ، وكان من الأجداد ، أنفق على إخوانه أربعين ألف دينار ، ولما قدم السفاح المدينة أمر له بمال فلم يقبله .

قال ابن الماجشون : ما رأيت أحداً أحفظ للسنة من ربيعة ، وكان صاحب الفتوى بالمدينة ، وبه تفقه الإمام مالك ، توفى بالهاشمية من أرض الأنبار سنة ١٣٦ هـ . (النظر : الأعلام ١٧/٤) .

(٣) السرى : سير عاتمة الليل .

(٤) هو : الضحّاك بن مزاحم الهلالي أبو محمد ، وقيل : أبو القاسم صاحب التفسير ، وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما ، وله باع كبير في التفسير والقصص . توفى سنة ١٠٢ هـ ، وقيل غير ذلك . (انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء ١٦٩/١ ترجمة ٦١٥) .

(٥) قاطنوك : ماكنوك والمقيمين فيك .

كَفَى حَزَنًا بِالْوَالِيهِ^(١) الصَّبِّ^(٢) أَنْ يَرَى

منازل من يهوى معطلة^(٣) قفرا^(٤) (٥)

لله درّ أقوام اجتهدوا في الطاعة ، وتاجروا ربهم فربحت البضاعة ،
وبقى الشئاء عليهم إلى قيام الساعة ، لورأيتهم في الظلام وقد لاح نورهم ،
وفي مناجاة الملك العلام وقد تم سرورهم فإذا تذكروا ذنباً قد مضى ضاقت
صدورهم ، وتقطعت قلوبهم أسفاً على ما حملت ظهورهم ، وبعثوا رسالة
الندم والدمع سطورهم .

وَلَمَّا وَقَفْنَا وَالرِّسَائِلَ بَيْنَنَا دُمُوعَ نَهَاهَا الْوَاجِدُونَ تَوْقِفًا
ذَكَرْنَا اللَّيَالِي بِالْعَقِيقِ^(٦) وَظَلَمَ الْأَنْيَقِ فَقَطَعْنَا الْقُلُوبَ تَأْسِفًا^(٧)

* * *

نسيم الصِّبَا إِنْ زُرْتُ أَرْضَ أَحْبَبْتِي فَخَصَّهُمْ مَنِّي بِكُلِّ سَلَامٍ
وَبَلَّغَهُمْ أَنِّي بَرَهْنٌ صَبَابِيَّةٌ وَأَنْ غَرَامِي فَوْقَ كُلِّ غَرَامٍ
وَإِنِّي لِيَكْفِينِي طُرُوقَ خِيَالِهِمْ لَوْ أَنَّ جَفَوْنِي مَتَعْتَ بِمَنَامٍ
وَلَسْتُ أَبَالِي بِالْجَنَانِ وَلَا لَظِي إِذَا كَانَ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ مَقَامِي
وَقَدِصَمْتُ مِنْ أَوْقَاتِ نَفْسِي كُلِّهَا وَيَوْمَ لِقَاكُمْ كَانَ فِطْرَ صِيَامِي^(٨)

جَالِ الْفِكْرِ فِي قُلُوبِهِمْ فَلَاحِ^(٩) صَوَابِهِمْ ، وَتَذَكَّرُوا فَذُكِّرُوا كَذَكَرَ
إِعْجَابِهِمْ ، وَحَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ فَحَقَّقُوا حِسَابَهُمْ ، وَنَادَمُوا لِلْمَخَافَةِ فَأَصْبَحَتْ
دُمُوعُهُمْ شَرَابَهُمْ ، وَتَرَنَّمُوا بِالْقُرْآنِ فَهُوَ سَمْرُهُمْ مَعَ أَتْرَابِهِمْ ، وَكُلَّفُوا بِطَاعَةِ
الْإِلَهِ فَانْتَصَبُوا بِحِزَابِهِمْ ، وَخَدَمُوهُ مَبْتَدِلِينَ^(١٠) فِي خِدْمَتِهِ شَبَابَهُمْ ،
فِيَا حَسَنَهُمْ وَرِيحَ الْأَسْحَارِ قَدْ حَرَّكَتْ أَثْوَابَهُمْ ، وَحَمَلَتْ قِصَصَ غِصْبِهِمْ
ثُمَّ رَدَّتْ جَوَابَهُمْ .

(١) الواله : الذي اشتد حزنه حتى ذهب عقله .

(٢) الصَّبِّ : يقال : صب إليه صبابه ، أى رقى واشتاق .

(٣) والمعطل من النساء : المعتادة ترك الحلى استغناء عنه بجمالها وتمام تخلقها .

(٤) القفر : الخلاء من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كلاً . ويقصد الأرض الجرداء الخراب .

(٥) البيت من بحر الطويل . (٦) العقيق : الوادى الذى شقه البسيل قديماً فأنهره .

(٧) البيت من بحر الطويل . (٨) الأبيات من بحر الكامل .

(٩) لاح : ظهر . (١٠) مبتدلين : منفقين وباذلين .

الفصل السابع

اندم على ذنوبك

أيها العبد : تفكّر في عُمر مضى كثيره ، وفي قدم ما يزال تعشيره ، وفي هوى قد هوى أسيره ، وفي قلب مشئت قد قل نظيره ، وتفكر في صحيفة قد اسودّت ، وفي نفس كلما نُصِحتْ صَدَّتْ ، وفي ذنوب ما تحصي لو أنها عُدَّتْ .

قال أبو الدرداء^(١) رضى الله عنه : تفكّر ساعة خير من قيام ليلة .

وقال أبو يوسف^(٢) بن أسباط : الدنيا لم تُخلَقْ لِتُنْتَظَرَ إليها ، وإنما خلقت لِتُنْتَظَرَ بِهَا إلى الآخرة^(٣) . وكان سفيان الثوري^(٤) من شدة تفكيره يبول الدم . وقال أبو بكر الكتاني^(٥) : روعة عند انتباه من غفلة ، وانقطاع

(١) أبو الدرداء : هو عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصارى الخزرجى ، صحابى من الحكماء الفرسان القضاة . كان قبل البعثة تاجراً بالمدينة ، ثم انقطع للعبادة ، ولما ظهر الإسلام اشتهر بالشجاعة والنسك ، وفى الحديث : « عويمر حكيم أمتى » و « نعم الفارس عويمر » . وولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب ، وهو أول قاض بها . قال ابن الجزرى : كان من العلماء الحكماء ، وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً على عهد النبى ﷺ بلا خلاف . مات بالشام ، وروى عنه أهل الحديث ١٧٩ حديثاً ، توفى سنة ٣٢ هـ . (انظر : الأعلام ٩٨/٥) .

(٢) أبو يوسف بن أسباط : فى الأصل هكذا ، ولعله يوسف بن أسباط بن واصل الشيبانى الكوفى الصوفى أحد أئمة الزهاد والعباد . (انظر : صفة الصفوة لابن الجوزى ٢٦٣/٤ رقم ٧٩٣ ، حلية الأولياء ٢٣٧/٨) .

(٣) (انظر : الخير فى الحلية ٢٤٠/٨) .

(٤) سفيان الثورى : هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى ، من بنى ثور بن عبد مناة ، من مضر ، أبو عبد الله . ولد سنة ٩٧ هـ : أمير المؤمنين فى الحديث ، كان سيد أهل زمانه فى علوم الدين والتقوى . ولد ونشأ فى الكوفة ، وراوده المنصور العباسى على أن يلى الحكم فأبى ، وخرج من الكوفة (سنة ١٤٤ هـ) فسكن مكة والمدينة ، ثم طلبه المهدي فتوارى . وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً . له من الكتب : « الجامع الكبير » و « الجامع الصغير » كلاهما فى الحديث ، وكتاب فى « الفرائض » . وكان آية فى الحفظ ، من كلامه : ما حفظت شيئاً فنسيته ، ولابن الجوزى كتاب فى مناقبه .

(٥) هو : محمد بن على بن جعفر الكتاني ، إمام بغدادى ، زاهد ، متصوف سكن مكة .

(انظر : حلية الأولياء ٣٥٧/١٠ رقم ٦٣١) .

عن حظ نفس ، وارتعاد^(١) من خوف قطيعة ، أفضل من عبادة الثقلين .
 وقال يحيى بن معاذ^(٢) : لو سمع الخلائق صوت النائحة على الدنيا في
 الغيب من ألسنة الفنا تساقطت القلوب منهم حزناً ، ولورأت القلوب بعين
 الإيمان نزهة الجنة لذابت النفوس خوفاً . ولو أدركت القلوب كنه^(٣) محبة
 خالقها لتخلعت مفاصلها ولها ، ولطارت الأرواح من أبدانها دهشاً^(٤) .
 سبحانه من أغفل الخليقة عن كنه هذه الأشياء وألهاهم بالوصف عن حقائق
 هذه الأنبياء .

يا ذاهباً في شططه ، يا واقفاً مع غلطه ، يا معترضاً لعقوبة الأحد ،
 ما سخطه ؟ يا معرضاً عن الاعتبار سمعه ، يا مُطليقاً لسانه في غلطه ، يا من
 لا يفرق بين صحيح القول وسقَطِهِ ، أما له عبرة بقرطبة ؟ أما هناك استدراك
 لفارطه ، إلى متى على قبيح غَطُّه^(٥) ؟ هلاً عبثاً متاعه في سقطه ، ألا حذر من
 في يد طاهي ، كلاً لو صحا لا تَعْظُ وأثر فيه اللوم وازدجر ، لكنه في غاية
 الغلظ ، أفسدته المعاصي فلم يظهر الشيب ، وانقرض لا يلتفت إلى من لام
 ولا من وعظ ، سيندم على تضييع ما كان احتفظ ، سَيَفِرُّ العلاج إذا زادت
 الكظظ^(٦) ، سيخرس لسان طال ما لفظ ، من لم يبق من عمره إلا الأمل ،
 وهو للوزر العظيم قد حمل وأثقل ، سيعرض عليك من المعاصي ممَّا دَقَّ
 وَجَلَّ ، تراعى الخلق وتَنسى حَقُّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، قد سَوَّدَ صحيفته وملاًها من
 قبيح العمل ، حملت عليه الأمانة فتغافل عنها وَضَلَّ ، يُدْعَى إلى الاستقامة ،
 وكلما قُوِّمَ دَلَّ ، لا يعرف ولا يقبل ، قد حلَّه رحلة ، نحلة مناحلها من
 حلَّ ، قد غَرَّه مَكْرُ سَوِّفَ ، وأوثقه قيد لَعَلَّ ، إلام تمنى النفس ما لا تناله ؟
 وتذكر عيشاً لم يعد متصرماً ، وقد قالت السبعون للهري : دعاني لشأني
 واذها حيث شئتما .

(١) ارتعاد : ارتعاش واضطراب .

(٢) هو : يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي أبو زكريا : واعظ ، زاهد لم يكن له نظير في وقته ، من
 أهل الرِّي . أقام ببلخ ، ومات في نيسابور ، له كلمات سائرة ، منها : (هان عليك من احتاج إليك ،
 اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس : العلماء الغافلين ، والقراء المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين) .
 (٣) كنه : إدراك الحقيقة . (٤) روى أبو نعيم نحوه في الحلية مختصراً ٥٦/١٠ .
 (٥) غطه : شدة نومه . (٦) كظ الطعام والشراب : ملاءه حتى لا يكاد يطيق النفس .

الفصل الثامن

أَمَقَّتْ نَفْسِكَ وَازْدَرِيهَا

إخواني : مَنْ تَفَكَّرَ فِي ذُنُوبِهِ تَابَ وَرَجَعَ ، وَمَنْ تَذَكَّرَ قَبِيحَ ^(١) غُيُوبِهِ ذَلَّ وَتَوَاضَعَ ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ الْهَوَىَّ يَسْكُنُ تَصَبَّرَ ، وَمَنْ تَلَمَّحَ إِسَاءَتَهُ لَمْ يَتَكَبَّرَ .

كان يزيد الرقاشي يقول : والهفاه ، سَبَقَ الْعَابِدُونَ وَقُطِعَ بِي ، وَكَانَ قَدْ صَامَ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً . وَقَالَ حَذِيفَةَ الْمُرْعَشِيِّ ^(٢) : لَوْ أُصِيبْتُ مِنْ يَبْغُضُنِي حَقِيقَةً ، لَأَوْجِبْتَ عَلَيَّ نَفْسِي حُبَّةً .

فِي أَيُّهَا الْعَبْدُ ، عُدْ عَلَيَّ نَفْسِكَ بِاللُّومِ وَالْمَقِّتِ ، وَاحْذَرِهَا ، فَكَمْ ضَيَّعْتُ عَلَيْكَ مِنْ وَقْتٍ ؟ وَانْدَمَ عَلَيَّ زَمَانُ الْهَوَىَّ ، فَمَنْ كَيْسِكَ أَنْفَقْتُ ، وَنَادَاهَا يَا مَجِلُّ كُلِّ بَلِيَّةٍ فَقَدْ وَاللَّهِ صَدَقْتَ .

رَوَى وَهْبُ بْنُ مَنْبِهِ ^(٣) : أَنَّ رَجُلًا صَامَ سَبْعِينَ سَنَةً يَأْكُلُ كُلَّ سَنَةٍ إِحْدَى عَشْرَةَ تَمْرَةً ، وَطَلَبَ حَاجَةَ مِنَ اللَّهِ فَلَمْ يُعْطِهَا ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ نَفْسَهُ فَقَالَ : مَنْ قَبْلِكَ بُلَيْتَ ، لَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ أُعْطِيتَ ، فَتَنَزَّلَ إِلَيْهِ مَلِكٌ فَقَالَ : إِنْ سَاعَتِكَ هَذِهِ الَّتِي أَزْدَرَيْتَ فِيهَا عَلَيَّ نَفْسَكَ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَتِكَ ، وَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ حَاجَتَكَ .

وَقَالَ فَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ ^(٤) : أَخَذْتُ بِيَدِ سَفِيَانَ بْنِ عَيْنَةَ ^(٥) فِي هَذَا

(١) فِي «ب» : جَمِيعٌ ، وَهَكَذَا فِي الْأَصْلِ «أ» .

(٢) هُوَ : حَذِيفَةُ بْنُ قَتَادَةَ الْمُرْعَشِيُّ . (انظر : صفة الصفوة ٢٦٩/٤ رقم ٧٩٦) .

(٣) وَهْبُ بْنُ مَنْبِهِ بْنُ كَامِلِ الْيَمَانِيِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَبْنَادِيُّ ، الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الْأَخْبَارِيُّ الْقِصَصِيُّ

مَاتَ سَنَةَ بَضْعَ عَشْرٍ وَمِائَةٍ .

(انظر : الحلية ٢٣/٤ ، شذرات الذهب ١٥٠/١ ، سير أعلام النبلاء ٥٤٤/٤) .

(٤) الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ (سَبَقَ تَرَجَمْتُهُ) .

(٥) هُوَ : سَفِيَانَ بْنُ عَيْنَةَ بْنِ مَيْمُونِ الْهَلَالِيِّ الْكُوفِيُّ ، أَبُو مُحَمَّدٍ : وُلِدَ سَنَةَ ١٠٧ هـ ، مُخَدِّثٌ

الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ ، مِنَ الْمَوَالِي . وَوُلِدَ بِالْكُوفَةِ ، وَسَكَنَ مَكَّةَ وَتَوَفَّى بِهَا ، كَانَ حَافِظًا ، ثِقَةً ، وَاسِعَ الْعِلْمِ ،

كَبِيرَ الْقَدْرِ . قَالَ الشَّافِعِيُّ : لَوْلَا مَالِكٌ وَسَفِيَانَ لَذَهَبَ عِلْمُ الْحِجَازِ ، وَكَانَ أَعْوَرَ ، وَحُجَّ سَبْعِينَ =

الوادي ، فقلت له : إن كنت تظن أنه قد بقي على وجه الأرض شراً مني
ومنك ، فبئس ماترى . وقال رجل لأبي الحسن الموسمي : كيف أنت ؟
فقال : خفيت أضراسي من أكل نعمة ، وكَلَّ لساني من كثرة ما أشكوه .
يا واقفاً مع هواه وأغراضه ، يا معرضاً عن ذِكر عَوَاضه إلى أعراضه ،
يا غافلاً عن الموت وقد جَدَّ بِمَقْرَاضِهِ^(١) ؛ وعلم اندباغ عمر أغراضه ، سيعرب
خبره إذ أحاط به أشد أمراضه وأخرج من خضرات الديار وروضه ، وألقى
في لحد وحيد يخلو برضراضه^(٢) ، وَعَلِمَ أَنَّهُ باع أغراضه^(٣) ، يا من بالهوى
كلامه وحديثه ، وفي المعاصي قديمه وحديثه ، وعمره في خطايا خفيفه
وَأَيْثُهُ^(٤) ، من له إذا أُلْحِدَ في قَبْرِهِ من يُغِيثُهُ ، مَنْ لَهُ إذا حَامَتِ^(٥) حول
حمَاهُ^(٦) الرَّدَى^(٧) ليوثه ، مَنْ له من كَرْبٍ لا يُرْحَمُ عِطَاشُهُ ، مَنْ لَهُ مِنْ
جَحْفَلٍ^(٨) لا يهدم كباشه^(٩) ، مَنْ له مِنْ لَحْدٍ لا يدفع حشاشه^(١٠) ، مَنْ
له مِنْ جَدَثٍ^(١١) عَمَلُهُ فيه فِرَاشُهُ ، مَنْ له مِنْ قَبْرِ فعل فيه معاشه ، مَنْ له
مِنْ مَوْقِفٍ لا يُرَدُّ بِطَاشِهِ ، مَنْ له يَوْمُئِذٍ ، ولا يتوى نجاشه^(١٢) ، مَنْ له مِنْ
حَسَابٍ عِقَابٍ رِذَاذِهِ^(١٣) يُرَدِّي ورشاشه^(١٤) ، من يُحَلِّصُهُ اليوم من هوى

= حجة ، توفي سنة ١٩٨ هـ . (انظر : الأعلام ١٠٥/٣) .

- (١) المقرض : المقص ، وهو ما يُقرض به الثوب أو غيره .
- (٢) الرضرض : الحصى الصغار في مجارى المياه . (٣) في « أ » : عمر أعراضه .
- (٤) أَيْثُهُ : ثقيله ، يقال : أثت المرأة أثاً : امتلاً جسمها وتمّ قوامها .
- (٥) حَامَتِ : طاقت . (٦) حمَاهُ : المشىء المحمى أو المحارم .
- (٧) الرَدَى : الموت . (٨) الجحفل : الجيش الكثير .
- (٩) الكبش : من معانيها : آلة من آلات الحرب كانت تستعمل في الحصار لقتل الحصون ،
جمعها (أكبش ، وأكبش ، وكباش ، وكبوش) .
- (١٠) حش الحرب : أضرم نارها ، ويقصد : أن القبر لا يستطيع أحد أن يمنع عذابه .
- (١١) الجَدَثُ : القبر .
- (١٢) النَجَّاشُ : الرجل القدير على استخراج بواطن الأشياء والأمور .
- (١٣) الرِذَاذُ : المطر الضعيف ، أو الساكن الدائم الصغير القطر كأنه الغبار .
- (١٤) رَشَّتِ السماء رشا : أمطرت .

قد أسرته رشاشه ، كم عاهد ونكث ، كم أثر الهوى وعبث ، كم غرّه غرير
بالسحر قد نفت ، تالله لقد بولغ في توبيخه وما اكثرث ، ولقد بعث
إليه^(١) ، ولقد بعث إليه الناير وما يرى من بعث ، قلبه مشغول بالهوى
ولسانه بالرفث^(٢) ، كلما^(٣) أصبح معاهداً وأمسى^(٤) نكث ، ظاهر صحيح
وباطن قبيح خبيث ، سيندم يوم الضريح من القبيح حرث^(٥) ، سيبكى
ندمان الهوى يوم الظمأ عند اللهث ، سيعرف حيرة المعاصي إذا حل
الحدث ، سيرى سيره إذا ناقش السائل أو بحث ، سيفرغ السن^(٦) ندماً إذا
نادى ولم بعث ، عجباً لجاهل باع تعذيب النفوس براحات الجثث^(٧) ،
القلب أسير^(٨) بالحزن ، والدمع غزير بالشجن^(٩) ، والفكر يذيب القلب ،
فما مثل الفكر على البدن ؟! ، كم بث ودمعى^(١٠) منهم لم يذراً في
وجدى ثمن ؟ واهاً لزمان طاب لنا وما أسرع ما ولى وفنى ، ما غردت
الوراقى^(١١) على غصن إلا وأهاجت حزني ، يا عيني أعيني^(١٢) قلباً قلقاً
بالدمع ؛ ليطفى نار الشجن أصبحت أسيراً في خطئي ، وذنوبي قد ملأت
بدني ، أبكى زللي أبكى خللي ، أبكى عملي كى يرحمنى ، من لى يوم
الشدة يُنقذني ، من كزب الموت يُخلصني ، ونزلت وحيداً في جدث ،
قفر وكأني من لبن^(١٣) ، أين الأقران وما قرئوا ؟ بالموت جميعاً في

(١) أظنها : مكررة خطأ من ناسخ « أ » .

(٢) الرفث : التصريح بالكلام القبيح ، أو هي كلمة جامعة لما يريد الرجل من المرأة على سبيل

الاستمتاع بها من غير كناية .

(٣) فى الأصل « أ » : كما .

(٤) فى الأصل « أ » : أمسى .

(٥) حرث : زرع ، وحرث الشيء : بحث فيه وعنى به .

(٦) استنت العين : انصب دمعها .

(٧) أى الأجسام .

(٨) فى الأصل « أ » : (السير) .

(٩) الشجن : الحزن .

(١٠) فى الأصل « أ » : (دمعى) .

(١١) الوراقى : الحمام ، مفزدها ورقاء . (١٢) أعيني : ساعدى بالدموع .

(١٣) اللين : المضروب من الطين ، يبنى به دون أن يُطبخ ، وفى « أ » : من البنى .

قرن^(١) ، كم سرت على ربيع^(٢) لهم ، وأطلت مسائلة الزمن [يا دار حبيبي :
أين هم عهدي بهم قبل الحن ؟ قالت لي دارهم : دارت بهم أمانى
الزمن]^(٣) ، أسرتهم قوة^(٤) فهم أسراء الحيرة والحزن ، تركوا المال لغيرهم ،
ولم يصحبهم غير الكفن ، تالله لقد سئلوا عمًا قد كانوا فيه من النبتن ،
فَتَيَقَّظُ قبل لِحاقِهِم ، من طول الرقدة والوسن^(٥) .

* * *

-
- (١) فى قرن : فى جمع ، أى فى مكان واحد مجموعون فيه .
(٢) الربيع : الموضع ينزل فيه زمن الربيع .
(٣) غير موجودة فى النسخة « أ » .
(٤) هكذا فى « ب » ، وفى « أ » : أسرى بهم فعدوا سرَّ الحيرة والحزن .
(٥) الوسن : العاس .

الفصل التاسع

سَارِعٌ إِلَى الْجَنَّةِ

إخواني : لقد خاب من باع باقياً بفان ، وخطر^(١) في ثوبى متوان^(٢) ، وتغافل عن أمر قريب كان ، وضيّع يوماً موجوداً في تأميل ثان ، أما الجنة تشوقت لطالبيها ، وتزينت لمُرِيدِهَا ، ونطقت آيات القرآن بوصف ما فيها^(٣) ، وملأت أسماع العباد أصوات واصفيها ، كأنكم بالجنة وقد فُتِحَتْ أبوابها ، وَتَقَسَّمُهَا يوم القيامة أصحابها ، وغنت ألسن الأمانى قريب^(٤) قبابها .

بشرها دليلها وقالوا : غداً ترين الطلح والجبالا^(٥)

روى أبو هريرة^(٦) رضى الله عنه قال : « قلنا : يا رسول الله ، حَدَّثْنَا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال : لَبْنَةٌ من ذَهَبٍ ولَبْنَةٌ من فضة : ملاطها^(٧) المسك الأذفر ، وحبهاؤها الياقوت والجوهر ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم لا يبأس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه »^(٨) .
روى أسامة بن زيد^(٩) عن النبي ﷺ أنه قال يوماً :

(١) خطر في مشيته : مشى مبختراً .

(٢) متوازن : متكاسل .

(٣) في « أ » : قربت .

(٤) في « أ » أول كلمة بالبيت : شرها ، والبيت من بحر الرجز .

(٥) أبو هريرة رضى الله عنه سبقت ترجمته . (٧) في « أ » : وبلاطها .

(٨) رواه أحمد ٣٠٥/٢ والترمذى (٢٥٢٨) والدارمى ٣٣٣/٢ ، وحسنه الألبانى فى صحيح

الجامع (٣١١١) وتخريج المشكاة (٥٦٣٠) .

(٩) هو : أسامة بن زيد بن حارثة ، من كنانة عوف ، أبو محمد ، صحابى جليل . ولد بمكة

سنة ٧ ق هـ ، ونشأ على الإسلام ، (لأن أباه كان من أول الناس إسلاماً) وكان رسول الله ﷺ يحبه حباً جماً ، وينظر إليه نظره إلى سبطيه الحسن والحسين ، وهاجر مع النبي ﷺ إلى المدينة ، =

« ما ذَكَرَ ^(١) الجنة إلا مُشَمِّرٍ ^(٢) إليها ، هي ورب الكعبة نُورٌ يَتَلَأَلُ ، ونهر مطروز ، وزوجة لا تموت ، وحُبور ونعيم ، مقام أبداً ، فقالوا : نحن المشمرون لها يا رسول الله ، فقال : قولوا : إن شاء الله » ^(٣) .

روى سهل بن سعد ^(٤) عن النبي ﷺ أنه قال : « إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، وإن جنة الفردوس ، وسطها وأعلاها سماء ، وعليها يوضع العرش يوم القيامة ، ومنها تُفَجَّرُ أنهار الجنة ، قال رجل : فذاك أبي وأمي ^(٥) يا رسول الله ، فيها خيل ؟ قال : نعم ، والذي بعثني بالحق إن فيها خيلاً من ياقوت أحمر ، يروث بين خلال ورق الجنة ، يتراءون عليها ، فجاء رجل فقال : بأبي وأمي فذاك ، هل فيها صوت ^(٦) ؟ قال : نعم ، والذي نفسي بيده إن الله عز وجل يوحى إلى شجرة في الجنة أن أَسْمِعِي عِبَادِي الَّذِينَ شَغَلَهُمْ ذِكْرِي فِي الدُّنْيَا عَنْ عِزِّ الْمِزَاهِرِ وَالْمِزَامِيرِ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ » ^(٧) .

يا نفس : بادري بالأوقات قبل انصرامها ، واجتهدي في حراسة ليالي الحياة وأيامها ، فكأنك بالقبور وقد تَشَقَّقَتْ وبالأمر وقد تَحَقَّقَتْ ، وبوجوه المتقين ، وقد أشرقت ، وبرءوس العصاة وقد أظرقت .

يا نفس : أما الوَرِعُونَ فقد جَدُّوا ، وأما الخائفون فد استَعَدُّوا ، وأما الصالحون فقد راحوا ، وأما الواعظون فقد صاحوا .

= وأمره رسول الله قبل أن يبلغ العشرين من عمره ، فكان مُظْفَراً مَوْقِفاً . ولما توفى رسول الله ﷺ رحل أسامة إلى وادي القرى فسكنه ثم انتقل إلى دمشق في أيام معاوية ، فسكن المزة ، وعاد بعد ذلك إلى المدينة ، فأقام إلى أن مات بالجرف في آخر خلافة معاوية سنة ٤٠ هـ . له في كتب الحديث ١٢٨ حديثاً ، وفي تاريخ ابن عساکر أن رسول الله ﷺ استعمل أسامة على جيش فيه أبو بكر وعمر . (انظر : الأعلام ٢٩١/١) .

(١) في الأصل : وذكر .

(٢) مشمر : أى مستعد .

(٣) رواه ابن ماجه كتاب الزهد (٣٩) . (٤) سهل بن سعد ، في الأصل : سهل بن سعيد .

(٥) في الأصل : بأبي وأمي فذاك . (٦) صوت : أى غناء .

(٧) بالفاظ قريبة منه . (انظر : صحيح ابن ماجه للألباني كتاب الزهد ٣٩ ، وصحيح سنن

الترمذى للألباني / ٢٥٣٠ أبواب صفة الجنة ، البيهقي ١٥/٩ ، ١٥٩ ، تفسير الطبري ٣٠/١٦ ، مشكاة ٥٦٣٢ ، الدر المنثور ٢٥٤/٤) .

يا نفس : اتعبي قليلاً تَشْتَرِيحِي في الفردوس كثيراً ، كأنك بالتعب قد مضى ، وبحرصِكِ من اللعب قد مضى ، وثمر الصبر قد أثمر حلاوة الرضا ، لا يطمعن البَطَّال في إدراك الأبطال ، هيهات أن يُدْرِكَ البطل المجتهد من غاب حين النزال فما شهد حُفَّت الجنة بالمكاره فلا يوصل إليها إلا^(١) بالمضض^(٢) ، كذلك كل محبوب يلذ ، وكل عرض من غير مشقة ، وإلا^(٣) ، متى لم يبعد على طالب المشقة :

العلم لا يحصل إلا بالنصب ، والمال لا يجمع إلا بالتعب ، واسم الجواد لا يناله بخيل ، ولا يُلقَّب بالشجاع إلا بعد تعب طويل .

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقبال قتال^(٤)

أَيُّهَا الْعَبْد : إن عَزَمْتَ فَبَادِرْ ، وإن هَمَمْتَ فتابر ، واعلم أنه لا يُدْرِكُ المفاخر ، من كان في الصَّفِّ الآخر .

سلع المجد كاسدة ، وكأن قد غَلَّتْ ، ومراعى الفضل قريبة ، وكأن قد غَلَّتْ ، وكأنك بغايات الغَفَلات قد انجلت ، فأصبحت حلاوة البطالة من أفواه الغافلين قد رَحَلَتْ ، وأصبحت رايات المجاهدين قَدَ حَلَّتْ ، وتفاوت في السَّبَّاق مضمار^(٥) وبطين^(٦) ، كما تفاوت في الإحراق ماء وطين . لا تحسب المجد تَمَرًا أَنْتَ آكله لا تبلغ المجد حتى تَلْعَق^(٧) الصبرا^(٨)

فاصبر للبلايا فحينها^(٩) يسير ، وأثبت للرزيا فأجرها كثير ، وأحسن قِرَى ضيف الهَمِّ بالصبر الغزير ، وتَجَلَّد على الظمأ فبين يديك ماءٌ غَيْرٌ^(١٠) .

(٢) بالتعب .

(١) في « أ » : هاولاي .

(٤) البيت من بحر الكامل .

(٣) في « أ » : وإني .

(٥) مضمار : المكان الذي تضمّر فيه الخيل أو تتسابق ، وضمّر الخيل : رُئِطُهُ وعلفه وسقايته

كثيراً ، وركضه في الميدان حتى يخف ويدق ، ومدة التضمير عند العرب أربعون يوماً .

(٧) لعق : لحس بلسانه .

(٦) بطين : عظيم البطن .

(٩) حينها : وقتها .

(٨) البيت من بحر الكامل

(١٠) معكر .

لا تجزعن من المنايا إذا أتت
وغدا الصبور يَجُرُّ ذيل سروره
فكأنَّ قد انكشفت غيايات البلا
وجرى الجزوع لما جَنَى ثَمَرَ الأَسَى
إِنِّي رأيت معاشراً لم يفهموا
دنياك دار للبلايا مهدت
واصبر لما تأتي به الأقدار
في جَنَّةٍ من تحتها الأنهار
وانجابت الآفات والأكدار^(١)
فجرى بلاً أجر له المقدار
معنى الوجود فأصبحوا قد حاروا
ووراء ذلك إن عقلت نهار^(٢)

* * *

(١) غير موجود هذا البيت في النسخة « أ » وموجود في « ب » .
(٢) الأبيات من بحر الرجز .

الفصل العاشر جَاهِدْ نَفْسَكَ

أيها العبد : حاسب نفسك في خلوتك ، وتَفَكَّرْ في انْقِرَاضِ مُدَّتِكَ ، واعمل في زمان فراغك لوقت شِدَّتِكَ ، وَتَدَبَّرْ قبل الفعل ما يُمَلَى في صحيفتك ، وانظر : هل نفسك معك أو عليك في مجاهدتك ، لقد سَعِدَ من حاسبها ، وفاز والله من حاربها ، وقام باستيفاء الحقوق منها وطالبها ، وكلما وَنَتْ^(١) عاتبها ، وكلما تواقفت جذبها ، وكلما نظرت في آمال هواها غلبها .

قال عليه الصلاة والسلام : « الكَيْسُ من دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ من أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي »^(٢) .
وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا ، وَطَالِبُوا بِالصُّدُقِ فِي الْأَعْمَالِ قَبْلَ أَنْ تُطَالَبُوا ، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا ، فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا ؛ وَتَزِينُوا لِلْعُرْضِ الْأَكْبَرِ : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾^(٣) ،^(٤) .

وقال الحسن البصرى رحمه الله : « أَيَسَّرُ النَّاسَ حِسَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ حَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الدُّنْيَا فَوْقُوا عِنْدَ هُمُومِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ ، فَإِنْ كَانَ الدِّينَ لِلَّهِ هُمُوا بِاللَّهِ وَإِنْ [كَانَ^(٥)] عَلَيْهِمْ أَمْسَكُوا ، وَإِنَّمَا يَثْقُلُ

(١) ونت : عجزت .

(٢) رواه أحمد ١٢٤/٤ والترمذى (٢٤٦٩) وابن ماجه (٤٢٦٠) وفى إسناده أبو بكر بن

أبى مریم ضعيف ، كما فى التقريب ، وضعفه المناوى فى فيض القدير .

(٣) سورة الحاقة ، الآية ١٨ .

(٤) رواه أحمد فى الزهد ٣/١ ، والبيهقى فى الزهد ص ٤٥٩ وأبو نعيم فى الحلية ٥٢/١

وإسناده صحيح .

(٥) غير موجودة فى « أ » .

الحساب على الذين أهملوا الأمور ، فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الذر فقالوا : ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ (١) .

وقال أبو بكر البخارى (٢) : « من نَفَرَ عن الناس قَلَّ أَصْدِقَاؤُهُ ، ومن نَفَرَ عن ذُنُوبِهِ طَالَ بُكَاءُؤُهُ ، ومن نَفَرَ عن مطعمه طال جوعه وعناؤه ، ونقل توبة بن المعلم (٣) أنه نظر يوماً وكان محاسباً لنفسه ، فإذا هو ابن ستين إلا عاماً ، فحسبها أياماً ، فإذا هي إحدى وعشرون ألف يوم وخمسمائة (٤) يوم فصرخ وقال : يا ويلتى ! ألقى المليك بإحدى وعشرين ألف ذنب وخمسمائة ذنب ، فكيف ولى فى كل يوم عشرون ألف ذنب ؟ ثم خر مغشياً عليه فإذا هو ميت ، فسمعوا هاتفاً يقول : يالها من ركضة إلى الفردوس الأعلى .

إخوانى : المؤمن مع نفسه لا يتوانى (٥) عن مجاهدتها ، وإنما يسعى فى سعادتها ، فاحترز عليها واغتتم لها منها ، فإنها إن عَلِمَتْ مِنْكَ الْجِدَّ جَدَّتْ ، وإن رَأَتْكَ مَائِلاً عنها صَدَّتْ ، وإن حَثَّهَا الْجِدُّ بِلِحَاقِ الصَّالِحِينَ سَعَتْ وَقَفَّتْ (٦) ، وإن تَوَانَى فى حقها قليلاً وَقَفَّتْ ، وإن طالبتها بالجد لم تلبث أن صفت وأنصفت ، وإن مال عن العزم أماتها ، وإن التفت عربدت ، من صبر على حر المجلس خرج إلى روح السعة ، من رأى التناهى فى المبادئ سلم ، ومن رأى التناهى هلك ؛ لأن مشاهدة التناهى تقصير أمله ، ومشاهدة المبادئ فى التناهى تُسَوِّفُ عمله ، وفى الجملة : من راقب العواقب سلم .

(١) سورة الكهف ، الآية ٤٩ . (٢) فى « أ » : النجار .

(٣) هكذا فى الأصل ولعله توبة بن الصمة وذكر الجوزى فى كتاب صفة الصفوة ١٩٦/٤ الخبر نفسه ترجمة رقم ٧٣٤ فانظره .

(٤) هى فى الحقيقة : ٢١٥٥٤ يوماً ، أى أكثر من ٢١٥٠٠ .

(٥) يضعف . (٦) اتبعت الآثار .

⑩ يا هذا : هلال الهدى لا يظهر فى غيم الشبع ، ولكن يبدو فى صحو
الجوع وترك الطمع ، واحذر أن تميل إلى حب الدنيا فتقع ، ولا تكن من
الذى قال : سمعت وما سَمِعَ ، ولا يَمُنَّ سوْفَ يومه بِغَدِهِ فمات ولا رَجَعَ ،
كَلَّا لَيُنْدَمَنَّ على تفريطه وما صَنَعَ ؛ وَلَيْسَأَلَنَّ عن تقصيره فى عمله
وما ضَيَّعَ ، فيالها من حسرة وندامة و غُصَّةٍ ^(١) تُجْرَعُ ، عند قراءة كتابه
وما رأى فيه وما جَمَعَ ، فبكى بكاء شديداً فما نفع ، وبكى محزوناً لما رأى
من نور المؤمن يسعى بين يديه وقد سَمِعَ ، فلا ينفعه الحزن ولا الزفير ولا
البكاء ولا الجزع .

* * *

(١) الغُصَّةُ : ما اعترض فى الحلق من طعام أو شراب .

الفصل الحادى عشر اجذار النار

إخوانى : لقد خَابَ من أثر شهوةٍ من حرامٍ ، فإنَّ عُقْبَاهَا تَجْرُعُ حَمِيمٌ آن (١) ، وخسر — والله — من أطلق نفسه فيما تريد ، بعد أن سمع الزبانية وأغلال الحديد ، وهلك كل الهلك وبار كل البوار ؛ من اشترى لذة ساعة بعذاب النار .

قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال النبى ﷺ : « أُوقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ ، فَهِيَ سُودَاءٌ مَظْلَمَةٌ » (٢) .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « نَارُكُمْ هَذِهِ مِمَّا يُوقَدُ بَنُو آدَمَ جِزْءًا وَاحِدًا مِنْ سَبْعِينَ جِزْءًا مِنْ جَهَنَّمَ » (٣) .

وروى ابن مسعود رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زَمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زَمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ ، يَجْرُونَهَا » (٤) .

وقال وهب بن منبه (٥) : إذا سِيرَتِ الْجِبَالُ ، فَسَمِعْتَ حَسِيسَ النَّارِ ،

(١) حميم آن : نحاس مذاب من شدة حرارته .

(٢) رواه الترمذى فى كتاب صفة جهنم (٢٥٩٤) وضعفه عبد القادر الأرناؤوط فى تخريج جامع الأصول ٥١٣/١٠ .

(٣) رواه البخارى (٢٣٨/٦) فى بدء الخلق ، باب صفة النار وأنها مخلوقة ، ورواه مسلم (٢٨٤٣) فى صفة جهنم باب شدة حر نار جهنم .

(٤) أخرجه الحاكم ٥٩٥/٤ وتلبيس إبليس ٣٤٣ .

(٥) هو : وهب بن منبه الأبنائى الصنعانى الذمارى ، أبو عبد الله : مؤرخ ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة ، عالم بأساطير الأولين ، ولا سيما الإسرائيليات ، يعد من التابعين . أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن ، وأمه من حمير ، ولد سنة ٣٤ هـ بصنعاء ، وولاه عمر =

نقيضها وزفيرها وشهيقها ، صرخت الجبال كما تصرخ النساء ، ثم يرجع أوائلها على أواخرها يدق بعضها بعضاً .

وفى المسند عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « يعظم أهل النار حتى إن بين شحمة أذن أحدهم وعاتقه سبعمائة عام ، وإن غلظ جلده سبعون ذراعاً ، وإن ضرسه مثل أخذ » (١) .

وروى الزهري (٢) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن الحميم ليصب على رءوسهم (فينفذ الحميم) (٣) حتى يخلص إلى جوفه فيلهب ما في جوفه ، حتى يمرق (٤) من قدميه (٥) ، وهو (٦) الصهر ثم يعاد كما (٧) كان » (٨) .

وقال أبو موسى : أهل النار يكون الدموع حتى تنقطع ثم يكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لجزت .

لله دَرٌّ أقوامٍ أذهبوا أعمارهم في طلبى وأتعبوا أعضاءهم في فرضى

= ابن عبد العزيز قضاءها ، وكان يقول : سمعت اثنين وتسعين كتاباً كلها أنزلت من السماء ، اثنان وسبعون منها فى الكنائس ، وعشرون فى أيدي الناس ، لا يعلمها إلا قليل ، ووجدت فيها كلها : أن من أضاف إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر . واتهم بالقدر ورجع عنه وألّف فيه « كتاباً » ثم ندم عليه ، وحبس فى كبره وامتنحن وله قصص الأنبياء (مخطوط) وغيره . توفى سنة ١١٤ هـ .
(انظر : الأعلام ١٢٥/٨ - ١٢٦) .

(١) أى جبل أحد ، والحديث أخرجه أحمد ٢٦/٢ وسنده ضعيف ، لأن فيه أبا يحيى القتات واختلفا فى اسمه ، وقال الحافظ فى التقریب : لين الحديث .

(٢) الزهري : هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، من بنى زهرة بن كلاب من قريش ، أبو بكر ، ولد سنة ٥٨ هـ . أول من دوّن الحديث ، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء ، تابعى ، من أهل المدينة . كان يحفظ ألفين ومائتى حديث ، نصفها مسند ، وعن أبى الزناد : كنا نظوف مع الزهري ومعه الألواح والصحف ويكتب كل ما يسمع . نزل الشام واستقر بها ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عمّاله : عليكم بآبن شهاب ، فإنكم لا تجدون أحداً أعلم بالسنّة الماضية منه . قال ابن الجزرى : مات بشعب آخر حد الحجاز ، وأول حد فلسطين سنة ١٢٤ هـ .
(انظر : الأعلام ٩٧/٧) .

(٣) ساقطة فى الأصل . (٤) فى الأصل : « عرق » وما ذكرناه هو الصحيح .

(٥) فى الأصل : « قدمه » . (٦) فى الأصل : « وهو فى » .

(٧) فى الأصل : « إلى ما » .

(٨) الحديث رواه الترمذى وإسناده ضعيف ، وانظر مشكاة المصابيح ١٥٨١/٣ برقم ٥٦٧٩ .

وواجبى وَقَطَعُوا قِوَاظِعَهُمْ لِأَجْلِ التَّعَلُّقِ بِي ، وحلموا عن الجهال (١) خوفاً من غضبى ، فإذا مَرُّوا على النار ، قالت : جَزِيأً يَا مُؤْمِنٌ فَقَدْ أَطْفَأَ نُورَكَ لِهَبِي .
إذا رأت النار من جاهد بالخير ، وما خافت خافت ، وإذا شاهدت نفوساً طال ما صافت صافت ، وإذا عاينت أجساماً ما نبتت من الحرام وعافت عافت .

هَلَّا تَشَبِهْتَ يَا هَذَا بِهِؤْلَاءِ الْقَوْمِ ، هَلَّا تَنْبَهْتَ مِنْ هَذَا الرُّقَادِ وَالنُّوْمِ ، وَأَنْتِ وَقْتُ الْعِشَاءِ نَائِمٌ ، وَقَلْبِكَ فِي حُبِّ شَهْوَاتِ الْبَهَائِمِ [هَائِمٌ (٢)] ، قُلْ لِلَّذِي أَلْجَأَهُ عَاجِلُ لَهْوِهِ عَنْ حِظِّهِ ، يَحْكِي الْبَهَائِمِ هَائِمًا : أَمْسِنَا الْفَنَاءَ ، خُذْ حِكْمَةً تَخْصِنَا بِهَا ؛ فَانظُرْ وَلَا تَبِغِ الْفَنَاءَ يَا نَائِمٌ ،

يَا هَذَا : الْمَحِبُّ يُطْرَدُ فَلَا يَزُولُ وَأَنْتِ تُدْعَى فَلَا تَجِبُ .

كم ليلة ينادى — وأنت غائب — : هل من سائل ؟ هل من تائب ؟
فإن تمنعوا منى السلام فإننى لَعَاذِ عَلَى حَيْطَانِكُمْ فَمُسَلِّمٌ (٣)

رَحِمَ اللَّهُ عَظْمًا طَالَمَا نُصِبَتْ وَأَنْتَصَبَتْ ، فَإِذَا جَنَّ اللَّيْلُ عَلَيْهِمْ فَتُمْكِنُ وَثَبْتُ وَثَبْتُ ، إِنْ ذَكَرْتَ عَدْلَهُ رَهَبْتُ وَهَرَبْتُ ، وَإِنْ تَفَكَّرْتَ فَضْلَهُ فَرِحْتُ وَطَرِبْتُ ، اعْتَرَفَ عَنْ طَاعَتِهِ أَنَّهَا قَدْ أَذْنِبْتُ ، وَقَامَتْ شَاكِرَةٌ لِمَنْ جَمَعَهَا عَلَى إِحْسَانِهِ فَنَبْتُ ، لَاحَتْ لَهَا ذُنُوبُهَا فَبَكَتْ عَلَيْهَا وَنَدَبَتْ وَصَاحَتْ بِهَا أَلْسُنُ الْغُفْرَانِ ؛ فَاهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ :

تَبْكِي الْأَجْبَةَ حَسْرَةً وَتَشْوُقًا	قِفْ بِالْدِيَارِ فَهَذِهِ آثَارُهُمْ
عَنْ أَهْلِهَا أَوْ صَادِقًا أَوْ مَشْفِقًا	كَمْ قَدْ وَقَفْتَ بِهَا أَسْأَلُ مَخْبِرًا
فَارَقْتَ مِنْ تَهْوَى فِعْزِ الْمَلْتَقَى	فَأَجَابَنِي دَاعِيَ الْهَوَى فِي رَسْمِهَا
أَتَنَامُ بَعْدَ فِرَاقِ جِيرَانِ اللَّقَى ؟	طَرَقَ الْخِيَالَ وَقَالَ لِي يَا مُدْعَى
لَا طَابَ لِي مِنْ بَعْدِكُمْ فَيَكُمُ بَقَا	وَحَيَاتِكُمْ قَسْمًا بِأَنِّي صَادِقٌ
مَا أَوْرَثُونِي بَعْدَهُمْ إِلَّا الشَّقَا (٤)	يَا سَادَةَ مَذْهَبِهِمْ أَجْمَالُهُمْ

(٢) ساقطة من الأصل « أ » .

(٤) الأبيان من بحر الكامل .

(١) فى الأصل : الجبال .

(٣) البيت من بحر الطويل .

أترى الأرض خلت منهم أم لم ترهم ، كلاً لو وصفت أعمالهم (١)
عرفناهم ، أما (٢) الأحياء منهم ، فالقطرة تجري مجراهم ، أما أمواتهم فمعنى
الأخبار معناهم .

قف يا هذا على قبورهم ونادهم ، واستنشق ريح فضلهم ، فهل المعانى
فى اجتهدهم ضائر الرّيحان معهم فى وسادهم :

كم قد وقفت وأحبابى بمنزلة تبيت يقظاناً ولهاناً وأهلاناً
فهاجها حين حيّانا النسيم بما سقيا وألقى بالجرع حيناً
نبكى فيسعدنا كور المطى فهل نحن المُشوّقون فيها أم مطايانا
ولا من قطر الأشياء ما وجدت كوجدنا العيس بل رقت لشكوانا

* * *

(١) فى الأصل « أ » : أعمالنا .

(٢) فى الأصل « أ » : أم .

الفصل الثاني عشر

عَلَيْكَ بِالْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ

إخواني : من علم عظمة الإله زاد وجله ^(١) ، ومن خاف نقم ربه حسن عمله ، فالخوف يستخرج داء البطالة ويشفيه ، وهو نعم المؤدب للمؤمن ويكفيه .

قال الحسن ^(٢) : صَحِبْتُ أَقْوَاماً كَانُوا لِحَسَنَاتِهِمْ أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِمْ أَخْوَفُ مِنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ أَنْ تَعَذِّبُوا بِهَا . ووصف يوسف بن عبد الحسن ^(٣) فقال : كان إذا أَقْبَلَ كَأَنَّهُ أَقْبَلَ مِنْ دَفْنِ حَمِيمِهِ ، وإذا جَلَسَ كَأَنَّهُ أُسِيرٌ مِنْ ^(٤) يُضْرَبُ عُنُقَهُ ، وإذا ذَكَرَتِ النَّارَ فَكَأَنَّمَا لَمْ تُخْلَقْ إِلَّا لَهُ .

وكان سميظ إذا وُصِفَ الْخَائِفُونَ يَقُولُ : أَنَاهُمْ مِنَ اللَّهِ وَعِيدٌ وَفَدَاهُمْ ، فَنَامُوا عَلَى خَوْفٍ وَأَكَلُوا عَلَى تَنْغِيصٍ .

واعلم أن خوف القوم لو انفرد قتل ، غير أن نسيم الرجاء يروح أرواحهم ، وتذكر الإنعام يحيى أشباحهم .

ولذلك روى : « لَوْ وُزِنَ خَوْفُ الْمُؤْمِنِ وَرَجَاؤُهُ لَاعْتَدَلَ » ^(٥) .

فالخوف للنفس سائق ، والرجاء لها قائد ، إن وَنَّتْ ^(٦) عَلَى قَائِدِهَا حِثَّهَا ^(٧) سَائِقِهَا ، وَإِنْ أَبَتْ ^(٨) عَلَى سَائِقِهَا حَرَكَهَا قَائِدِهَا مَزِيحَ الرَّجَاءِ يُسَكِّنُ حَرَّ الْخَوْفِ ، وَسَيْفَ الْخَوْفِ يَقَطَعُ سَيْفٌ - سَوْفٌ - وَإِنْ تَفَكَّرَ فِي

(١) وجله : خوفه .

(٢) أي الحسن البصرى .

(٣) هكذا .

(٤) هكذا وأظن من زائدة .

(٥) الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي - الحلب ١٣٣ ، الأسرار الموضوعية في

الأخبار الموضوعية رقم ٧٥٧ ، وقالوا : لا أصل له ولكن أثر عن السلف .

(٦) ونت : ضعفت .

(٧) حثها : استحثها للمسير .

(٨) أبت : امتنعت .

الإنعام شكر وأصبح لِلَّهِمَّ قد هجر ، وإن نظر في الذنوب حذر ، وبات
جوف الليل يعتذر ، وأنشد :

أظلت علينا منك يوماً سحابة أضاءت لنا برقاً وأمطرتنا
فلا^(١) غيمها فيأس طامع ولا غيثها باقى ، فيروى عطاشها

* * *

(١) هكذا وأظنها فأما .

عَلَيْكَ بِحُبِّ اللَّهِ

إخواني : الموت فى طريق الطلب : خير من العطب^(١) فى طريق البطالة ، ما هذا؟! أديم السَّهَر والصوم ، وخلّ لأربابه طول النَّوْم ، وَشَمَّرَ فى لحاق القوم ، فإذا وصلت إلى دوائك : أنخت بجانب ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾^(٢) ، وإن مِتَّ بدائك : فمقابر الشهداء ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾^(٣) .

يا هذا : عليك بإدمان الذِّكْر ، لعل ذكرك القليل ينمى ذكره الجليل ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾^(٤) ؛ أنا جليس من ذكركنى . لا تعجز عن حفر ساقية وإن ربت ، فإنك إذ ألحقتها بساحل البحر فاض من ماء البحر إليها فصارت دجلة ، أخلص فى ذكرك لعله يذكرك .

روى البخارى ومسلم فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه كان يسير فى طريق مكة فَمَرَّ على جبل يقال له : حمدان ، فقال ﷺ : « سِيرُوا سَبْقَ الْمُفْرَدُونَ ، قالوا : وما الْمُفْرَدُونَ يا رسول الله ؟ قال : الذَّاكِرُونَ الله كثيراً والذاكرات »^(٥) .

روى أبو الدرداء عن النبى ﷺ أن الله تعالى يقول : « أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه »^(٦) .

وقال أبو الدرداء : الذين ألسنتهم رطبة بذكر الله تعالى يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك .

يا هذا : من علامات المحب انزعاجه عند ذكر محبوبه .

(١) العطب : الهلاك . (٢) سورة يونس ، الآية ٢ . (٣) سورة القمر ، الآية ٥٥ .

(٤) سورة العنكبوت ، الآية ٤٥ . (٥) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

(٦) رواه أحمد ٥٤٠/٢ الإتحاف ابن عساكر ١٢٠/٧ .

لو أحببت شخصاً من أهل الدنيا فسمعت باسمه لانزعج باطنك ، أما سمعت أن مجنوناً أحب مخلوقاً فلما ذُكِرَ انزعج ، فقال :

وَدَاعَ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْحَيْفِ مِنْ مَنِي فَهَيَّجَ أَحْزَانَ الْفؤَادِ وَلَمْ يَدِرْ دَعَاً بِاسْمِ لَيْلَى غَيْرِهَا فَكَأَنَّمَا أَطَارَ بِقَلْبِي طَائِراً كَانَ فِي صَدْرِي (١)

وهذا ذُكِرَ اللهُ يُثَلَّى عَلَيْكَ وَمَا تَغْيِيرٌ ، وَكَمْ تَسْمَعُ مِنْ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَلَا تَتَدَبَّرُ ، وَقَدْ يَسَّرَهُ الْكَرِيمُ عَلَيَّ مِنْ اجْتِهَادٍ فِيهِ ، وَمَا عَسِرَ ، وَكَمْ مِنْ نَظَرٍ فِيهِ حَقِيقَةُ النَّظَرِ وَتَبَصَّرَ ، وَعَمِلَ مَا أَمَرَهُ وَتَرَكَ مَا نَهَى عَنْهُ فِي الْعَمَلِ وَالْقَوْلِ وَتَحَرَّرَ ، وَكَلِمَا نَظَرَ فِي عَمَلِهِ رَأَى أَنَّهُ مُقَصَّرٌ فِيهِ تَفَكَّرَ ، لَا يَلْتَذُّ بِطَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ وَلَا نَوْمٍ إِلَّا ذَكَرَ وَتَذَكَّرَ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ مُسَطَّراً إِخْبَاراً عَنْهُمْ فِي ذِكْرِهِمْ لَهُ قَوْلًا بَلِيغاً مُفَسَّرٌ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (٢) ﴿ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ﴾ (٣) فشكرهم على ذلك وستر ، بأنه راض عنهم يوم تشقق السماء وتتفطر :

﴿ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ (٤) ويبقى العاصي نادماً (٥) على تفريطه مُحَسَّرٌ ، مُثَقَّلٌ بِحَمْلِ خَطَايَاهُ وَفِي ذَيْلِ ذُنُوبِهِ مُعْتَرٌّ ، فَإِذَا دُعِيَ لِقَاءَ كِتَابِهِ رَأَى مَا فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ تَحَيَّرَ وَيَرَى غَيْرَهُ قَدْ أَمَرَ بِهِ إِلَى النَّارِ مَسْحُوبٌ مُجْرَجَرٌ ، فَيَنْدَمُ فَلَا يَنْفَعُ ، وَيَكْفَى فَلَا يُسْمَعُ وَلَا يُرْحَمُ ، وَلَا يُعْدَرُ ، فَالْعَذَابُ الشَّدِيدُ لِمَنْ كَدَّ وَطَغَى وَتَجَبَّرَ ، وَنَصَحْتُكَ ، فَالتَّوْبَةُ التَّوْبَةُ .. فعسى بعد الكسر تُجَبَّرُ ، فهو المعين لمن لجأ إليه ، فله الحمد على ما قَضَى وَقَدَّرَ .

* * *

(٢) سورة الأنفال ، الآية ٢ .

(٤) سورة القيامة ، الآية ١٣ .

(١) البیتان من بحر الطویل .

(٣) سورة الحج ، الآية ٣٥ .

(٥) فی الأصل « أ » : نام .

الفصل الرابع عشر

تفاوت النفوس في الخير والشر

روى أبو موسى ^(١) رضى الله عنه عن النبي ﷺ : « أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةِ قُبْضَتٍ مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ ، فَجَاءُوا بَنُوا آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ : مِنْهُمْ الْأَبْيَضُ ، وَالْأَحْمَرُ ، وَالْأَسْوَدُ ، وَبَيْنَ ذَلِكَ ، وَالْخَبِيثُ ، وَالطَّيِّبُ ، وَالسَّهْلُ ، وَالْحَزْنُ وَبَيْنَ ذَلِكَ » ^(٢) .

وجاء في حديث آخر : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ ، فَرَشَّ عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ ، فَمَنْ أَصَابَهُ ذَلِكَ النُّورُ اهْتَدَى ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ » ^(٣) . فهذا يدل على أن من خُلِقَ من الصفا صفا له ، ومن خلق من الكدر كُدِّرَ عليه فلم يصلح للقرب والرياضة ، وإنما يصلح عبد نجيب .

خُلِقَ إبليس من ماء غير طاهر ، فكانت خِلْعَةُ العبادَةِ عليه عارية ، فَسَخَّنَ ماءَ معاملته بإيقاد نار الخوف ، فلما أَعْرَضَ عنه الموقد عاد إلى برودة الغفلة . وَخُلِقَ عُمر من أصل نقي ، فكانت أعمال الشرك عليه كالعارية ، فلما عَجَّت نيران حمية الجاهلية أَثَرَتْ في طبعه إلى أن فنى مدد حظها بفناء مدة تقدير إعراضه ، فعاد سخنه إلى برد العرفان :

وَكُلٌّ إِلَى طَبْعِهِ عَائِدٌ وَإِنْ صَدَّهُ الصَّدُّ عَنْ قَصْدِهِ

كَمَا أَنَّ الْمَاءَ مِنْ بَعْدِ إِسْخَانِهِ سَرِيعًا يَعُودُ إِلَى بَرْدِهِ ^(٤)

(١) أبو موسى الأشعري رضى الله عنه .

(٢) رواه الترمذى (٩٤٨) فى التفسير ، باب من سورة البقرة ، وقال : حديث حسن صحيح .

ورواه أبو داود (٤٦٩٣) فى السنة ، باب القدر .

(٣) رواه الحاكم ٣٠/١ بقرىب من لفظه ، وعن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ : « إن الله

خلق خلقه فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور يومئذ شىء فقد اهتدى ، ومن أخطأ ضلَّ » . فلذلك أقول : جفَّ القلم عن علم الله . وصححه الحاكم وسكت الذهبى عليه .

(٤) البيتان من بحر الطويل .

يا هذا : لاحت عقبة المعصية لآدم وإبليس ، فقال لهما لسان الحال :
لابد من سلوكها ، فَسَلَكَا يَتَخَبَّطَانِ فِي ظِلَامِهَا ؛ فأما آدم فانكسر قلبه في
طريقه ، وبكى لصعوبة مضيقيه ، فهتف به هاتف اللطف : لا تجزع أنا عند
الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ أَجْلِى ^(١) ؛ وأما إبليس فجاء ضاحكاً معجباً بنفسه ،
فثار الكبر من قلبه ، فتكاثرت ظلمة طريقه ، فلما ارتفعا إلى رأس العقبة
ضُرِبَ ﴿ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ
الْعَذَابُ ﴾ ^(٢) ، فقال إبليس : يا آدم كنا رفيقين في عقبة المعصية ، فكيف
افتراقنا ^(٣) ؟ فنادى منادى الأزل : نحن قَسَمْنَا .

* * *

(١) لعله مأخوذ من الأثر الذي رواه أبو نعيم في الحلية ٢٢/٤ بسنده عن وهب بن منبه ، قال :
قال داود عليه السلام : « إلهي ، أين أجذك إذا طلبتك ؟ قال : أنا عند المنكسرة قلوبهم » .
(٢) سورة الحديد ، الآية ١٣ .
(٣) هكذا في الأصل .

الفصل الخامس عشر

رَوْضُ نَفْسِكَ

يا هذا : طَهَّرْ قلبك من الشوائب ، فالمحبة لا تُلقَى إلا في قلبٍ طاهر ،
أما رأيت الزارع يتخير الأرض الطَّيِّبَةَ ويسقيها ويرويها ثم يثيرها ويقلبها ،
وكلما رأى حجراً ألقاه ، وكلما شاهد ما يؤذي نَحَّاهُ ، ثم يُلقى فيها البذر
ويتعاهدها من طوارق الأذى ؟ وكذلك الحق عَزَّ وَجَلَّ إذا أراد عبداً لوداده
حصد من قلبه شوك الشرك ، وَطَهَّرَهُ من أوساخ الرِّياء والشك ، ثم يسقيه
ماء التوبة والإنابة ، ويثيره بمسحاة الخوف والإخلاص ، فيستوى ظاهره وباطنه
في التقى ، ثم يلقى فيه بذر الهدى ، فَيُثْمِرُ حب المحبة ، فحينئذ تُحَمَّدُ
المعرفة وطناً ظاهراً ، وقوتاً طاهراً ، فيسكن لب القلب ، ويثبت به سلطانها
في رستاق البذر^(١) ، فيسرى من بركاتهما إلى العين ما يفضها عن سوى
المحبوب ، وإلى الكف ما يَكْفُفُهَا عن^(٢) المطلوب ، وإلى اللسان ما يحبسها
عن فضول الكلام ، وإلى القدم ما يمنعه من سرعة الإقدام ، فما زالت تلك
النفس الطاهرة راضية العلم ، ونديمها الحلم ، وسجنها الخوف ، وميدانها
الرجاء ، وَبُستانها الخلوة ، وَكَنْزها القناعة وبضاعتها اليقين ، ومركبها
الزهد ، وطعامها الفكر ، وحلواها الأنس ، وهي مشغولة بتوطئة رَحْلِهَا
لرحيلها ، وعين أملها ناظرة إلى سبيلها ، فإن صَعَدَ حافظها ، فالصحيفة
نقية ، وإن جاء البلاء فالنفس صابرة تقية ، وإن أقبل الموت وجدها من الغش
خلية ، فيا طوبى لها إذا نوديت يوم القيامة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *
ازْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾^(٣) .

* * *

(٢) في الأصل « أ » : سوى المطلوب .

(١) في « أ » : البدن .

(٣) سورة الفجر ، الآيتان ٢٧ و ٢٨ .

الفصل التاسع عشر

خَالِفَ هَوَاكَ

لله درُّ نفس تَطَهَّرَتْ من أجناس هواها ، وتجلبت جلاباب الصَّبر عند دنياها ، وشغلها ما رأى قَلْبُهَا عَمَّا رأت عيناها ، وإن مالت إلى الدنيا نهاها نُهاها^(١) ، وإن مالت إلى الهوى شفاها شفاها ، سهرت تطلب رضى المولى فرضى عنها وأرضاها ، وقامت سوق المجاهدة على سوق هداها ، فباعته حرصها بالقناعة فظفرت بغناها ، وَفَوَّقَتْ^(٢) سهام العزائم إلى أهداف المحارم تبتغى علاها ، ورمت نجائب الأسحار فساقها حادى الاستغفار إذ عنها ؛ وقطعت بيداء الجد بآلة المستعد فبلغت مُنَاهَا ، فمن أجلها ينزل القطر وينبت الزرع من جزاها ، ولولاها لم تثبت الأرض بأهل دنياها .

وما أعطى الصباية ما استحقت عليه ولا قضى حق المنازل
ملاحظها بعين غُرَى غَيْرِي وزائرها بجسم غير ناحل^(٣)

* * *

(١) نُهاها : بضم النون : العقل .

(٢) فَوَّقَتْ : صَوَّبَتْ .

(٣) البيتان من بحر الوافر .

الفصل السابع عشر

بَصِّرْ فِي نَفْسِكَ

يا من نَسِيَ العهد القديم وَخَانَ ، مَنِ الذي سَوَّك في صورة الإنسان ؟
 مَنِ الذي غَدَّكَ في أَعْجَبِ مكان ؟ مَنِ الذي بقدرته استقام الجثمان ؟ مَنِ
 الذي بحكمته أَبْصَرَتْ العينان ؟ مَنِ الذي بِصَنَعْتِهِ سَمِعَتْ الأذنان ؟ مَنِ
 الذي وَهَبَ العقل فاستبان للرشد وبان ؟ مَنِ الذي بَارَزَتْهُ بالخطايا وهو يستر
 العصيان ؟ مَنِ الذي تركت شكره فلم يؤاخذ بالكفران ؟ إلى كم تخالفني
 وما يصبر على الخلاف الأبوان ، وتعاملني بالغير الذي لا يرضاه الإخوان ،
 وتنفق في خِلَافِي مَا عَزَّ عِنْدَكَ وَهَانَ ، ولو علم الناس منك ما أعلم :
 ما جالسوك في مكان ، فارجع إليَّ في ذلك فأنا المعروف بالإحسان :
 نَقْلُ فُؤَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
 كَمْ مَنَزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلُفُهُ الْفَتَى وَحِينِهِ أَبْدًا لِأَوَّلِ مَنَزِلٍ (١)
 يا مُبَارِزًا بِالْقَبِيحِ مَهْدُ عُدْرِكَ ، يا مُوَاصِلًا نَقْضَ الْعَهْدِ جَانِبِ عُدْرِكَ ،
 يا مُدِيمًا لِلتَّوَانِي تَدَبَّرْ أَمْرَكَ ، يا مُؤَثِّرًا مَا يَفْنِي عَلَى مَا يَبْقَى خَالَفتَ خَبْرَكَ ،
 يا لَاهِيًا فِي أَيَّامِ الْعَوَافِي وَاللَّهِ مَا تُتْرَكُ ، يا وَاقِفًا مَعَ الْأَمَانِي ضَيَّعْتَ عَمْرَكَ ،
 يا فَارِحًا بِقَصْرِهِ تَذَكَّرْ قَبْرَكَ ، يا حَامِلًا أَثْقَالَ الذُّنُوبِ هَلَّا خَفَّفْتَ ظَهْرَكَ ؟
 سار الصالحون إلى ذكرنا وآثرت هَجْرَكَ ، وسمعت سيرهم وضَيَّعْتَ أَجْرَكَ .
 إِنَّ أَرَدْتَ ضُحْبَةَ الْمُتَّقِينَ فَاشْرَحْ لِلْيَقِينِ صَدْرَكَ ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ حَلَاوَةَ الْعَوَاقِبِ
 فَاسْتَعْمَلْ صَبْرَكَ ، إِنْ حَلَا شَرَابِ مَنَاجَاتِنَا فَبَدِّدْ خَمْرَكَ ، إِنْ طَابَ لَكَ
 سَمَاعُ ذِكْرِنَا فَاسْكُرْ زَمْرَكَ ، اِغْتَبِرْ عَنِ الثَّرَى وَالْكَفَانِ ، وَتَفَكَّرْ فِي
 الْبَلَا ، وَتَذَكَّرْ ذَاكَ الرَّفَاقِ فَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ هَذِهِ الْآفَاتِ إِلَّا أَنْ تُعَايِنَ الْوَفَا وَفَاتِ .

(١) البيتان من البحر الكامل وذكرهما ابن عبد ربه في العقد الفريد منسوبان إلى أعرابية كانت
 زوجة لأحد الأعراب . (انظر : العقد الفريد ، دار الكتب العلمية بيروت ٥٨/٤ - ٥٩) .

الفصل الثامن عشر

تذكري يا عاقل

يا من له قلب ومات ، يا من كان له وقت وفات ، أشرف الأشياء قلبك
ووقتك ، فإذا أهملت قلبك وضيعت وقتك : فقد ذهب منك الفوائد ،
أو كنت تبكي على ما فات فابك على وقتك :

ويبكي على الموتى ويترك نفسه ويزعم أن قد قل عنها عزاؤه
ولو كان ذا رأى وعقل وفطنة لكان عليه لا عليهم بكأؤه^(١)

رُئي سمنون^(٢) يوماً على شاطئ دجلة ويده قضيبت يضرب به فخذ
حتى تبدد لحمه وهو يقول : كان لي قلب أعيش به ضاع مني في تقلبي ،
رب فازدده علي ، فقد عيل صبري في تطلبه ، وأغث ما دام لي رموق يا غياث
المستعاث به ، ابك على وقت كان قد صفا ، وعلى قلب صار كالصفا^(٣) ،
وعلى زمان تبدل فيه الوصل بالجفا ، وعلى ربع خلا من اليقظة وعفا :
منازل كنت أهواها وألفها أيام كنت على الأيام منصوراً^(٣)

ما تتوقى في سمين بدنيك حتى نسيت إدراجك في كفنيك ، ولا متعت
نفسك بمواعيد المني إلا بعد أن أسرك حب الهوى ، أما وعظك الزمان من
بسطه وقبضه ؟ أما أجد لك بجديد بعد الاعتبار ببعضه ، أما تُدرك الحين من
طوله وعرضه ، يا عجباً كيف التذ حامل بغمضية ؟ وكم طيل يوم ما أدنى

(١) البيتان من بحر الطويل .

(٢) هو : سمنون بن حمزة الخواص ، ويقال : ابن عبد الله ، أحد مشايخ الصوفية ، وكان ورده
كل يوم وليلة خمسمائة ركعة ، وسمى نفسه سموناً الكذاب لقوله :

فليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فامتحنى

وابتلى بعسر البول ، وكان يطوف على المكاتب ، ويقول للصبيان : ادعوا لعنكم الكذاب ، وله
كلام متين في الحجة ، وسوس في آخر عمره ، وله كلام في الحجة مستقيم . توفي سنة ٢٩٠ هـ .
(انظر : الأعلام ١٤٠/٣ وغيره) .

(٣) الصفا : أى الحجارة الملساء الصلدة . (٤) البيت من بحر البسيط .

بعض فرضه ، أما تعلم أن الممات والحساب أمامك فتَهَيَّأ للرحيل ، وأضلِّح
خِيَامَكَ ، واحفظ مقالتي واقطع قِطْعَ المدى مداك ، واجتهد أن تنشر
الإخلاص في المحل إلا على أعلامك ، وَصَلْ صَلَاتَكَ فِي الدُّجَى ، واهجر
للمنام منامك ، ولا تترك ولو بت الليل عاصياً صيامك ، وَأَخْضِرْ قلبك
وسمعك ، وإن قلا^(١) من لامك ، وَأَفِقْ فِي زمان الإمكان قبل
انشات^(٢) العرى غرامك ، واقطع بسيف التُّقَى كما يقطع الكلام كلامك ،
وإيَّاك والفتور فإنى أرى الدواء دوامك .

* * *

(١) قلا : هجر وبغض .
(٢) انشات : كشف وافشاء .

الفصل التاسع عشر

الفأزون

لله دَرُّ أقوام أقبلوا بالقلوب على مُقلِّبها ، وأقاموا النفوس بين يدي مؤدبها ، وسلّموها إذا باعوها إلى صاحبها ، وأحضروا الآخرة فنظروا إلى غائبها ، وسهروا الليالي كأنهم وُكِّلُوا بِرِغِي كواكبها ، ونادوا أنفسهم صبراً على نار حطبها ، ومقتوا الدنيا فما مالوا إلى ملاعبها ، واشتاقوا إلى لقاء حبيبهم فاستطالوا مدة المقام بها .

إذا كُنْتُ قُوتِ النفس ثم هجرتها فكَم تلبث النفس التي أنت قوتها ؟
ستبقى بقاء الضب في الماء أو كما يعيش بيضاء المهامه حوتها^(١)

بعض العابدات كانت تقول : والله لقد سئمت الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لا شتريته شوقاً إلى الله وحُبّاً للقائه ، فقيل لها : على ثِقَةٍ أنت من عملك ؟ قالت : لا والله ؛ لحيي إِيَّاه وَحُسْنِ ظَنِّي به ، أفتراه يعذبني وأنا أحبه :
يا ناظر العين قل هل ناظرت عيني إليك يوماً وهل تدنو من البين
الله يعلم أني بعد فرقتكم ك طائر سَلَبوه من الجتاحين
ولو قدرت ركبت الريح نحوكم فَإِنَّ بُعْدِي عَنْكُمْ قد حَنَا حين^(٢)

لله دَرُّ أرواح تشتاق إلى روح قرية ، وتلتذ عند ابتلائه بوقع ضربة ، ويطول عليها الزمان شوقاً إليه لِحُبِّه ، إن سَأَلْتَ عن صفاتهم ، فكلُّ منهم مُخْلِصٌ لربه مجتهد في طاعته ، خائف من عتبه ، قائم على نفسه باستيفاء الحق منها على قلبه وأنشد :

كيف يقعد رقيب مشتاق بحركة إليكم الخافقان الشوق والأمل

(١) البيت في بحر الطويل . (٢) الأبيات من بحر البسيط .

فإن نهضت فما لي غيركم وطر
لو كان لي يد ما اخترت غيركم
وإن قعدت فما لي عندكم شغل
فكيف ذاك وما لي غيركم بدل
ذنون على قلبي فما وصلوا
ولم تعرض الأقسام بعدكم يستأ

* * *

الفصل العشرون

سارع إلى التوبة والإنابة

أيها العبد : رَاقِبْ مَنْ يَرَاكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وما زال نظره إليك في جميع الأفعال ، وطَهَّرْ سِرِّكَ فهو عليم بما يَحْطُرُ بالبال ، المراقبة على ضريين ، مراقبة الظاهر لأجل من يعلم ، وحفظ الجوارح عن ردائل الأفعال ، واستعمالها حَذراً ممن يرى ، فأماً مراقبة الباطن فمعناها أدب القلب من مساكنة خاطر لا يرضاه المولى ، وأجَدُّ السَّيرِ في مراعاة الأولى ، وأما مراقبة الظواهر فهي ضبط الجوارح عن ردائل الأفعال ، واستعمالها في معالي الأعمال ، فمن كان مقامه المراقبة فحال المحاسبة .

قال سرى^(١) : الشوق والأنس يرفرفان على القلب فكان هناك الإجلال والهيبة حلاً ولا رحلاً ، ومن ظهر الخشوع على قلبه دخل الوقار على جوارحه .

قال حاتم الأصم^(٢) : إذا عملت فانظر نظر الله إليك ، وإذا شكرت فاذكر علم الله فيك .

وقال أبو الفوارس الكرماني : من غَضَّ بَصَرَهُ عن المحارم وَأَمْسَكَ نفسه عن الشهوات ، وَعَمَّرَ باطنه بدوام المراقبة ، وظاهره باتباع السُّنَّةِ ، وَعَوَّدَ نفسه أَكَلَ الحلال لم تخطيء ، له فِرَاسَةٌ :

(١) سرى : هو أبو الحسن سرى بن المُعَلِّس الشَّقِيطِيُّ ، كان أُوحد زمانه في الورع وعلوم التوحيد ، ملازماً بيته لا يخرج منه ، ولا يراه إلا من يقصده ، وكان تلميذ معروف الكرخي . مات سنة ٢٥٣ هـ . (انظر : الأعلام ٨٢/٣) .

(٢) حاتم الأصم : أبو عبد الرحمن حاتم بن عنوان ، ويقال : حاتم بن يوسف ، ويقال : حاتم بن عنوان بن يوسف الأصم ، من مشايخ خراسان ، ولم يكن أصماً ، وإنما جاءته امرأة تسأله مسألة ، فاتفق أن خرج منها ريح ، ففجلت ، فقال حاتم : « ارفعي صوتك » وأرى من نفسه أنه أصم ، فَشَرَّتْ بذلك ، وقالت : « إنه لم يسمع الصوت ! » فغلب عليه ذلك ، توفي سنة ٢٣٧ هـ . (انظر : الأعلام ١٥٢/٢) .

كان رقيباً منك يرعى خواطري
فما نظرت عيناي بعدك منظراً
ولا بدرت من فيّ بعدك لفظةً
ولا خطرت في ذكر غيرك خطرةً
وفتيان صدقي قد سمعت كلامهم
وما الدهر أسلا عنهم غير أنني
وأخر يزعي ناظري ولساني
لعمرك إلا قلت : قد رمقاني
لغيرك إلا قلت : قد سمعاني
على القلب إلا عرجا بعنان
وعُفّف عنهم خاطري وجناني
أراك على كل الجهات تراني^(١)

* * *

(١) الأبيات من بحر الرجز .

ابْغِدْ عَنِ الْمَعَاصِي

إِلَى مَتَى تَمِيلُ إِلَى الزَّخَارِفِ ، وَإِلَى كَمِّ تَرْغِبُ لِسَمَاعِ الْمَلَاهِي
 الْمَعَارِفِ ، أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تَصْحَبَ سَيِّدًا عَارِفًا ، قَدْ قَطَعَ الْخَوْفَ قَلْبَهُ ، وَهُوَ
 عَلَى عِلْمِهِ غَاكِفٌ ، يَقْطَعُ لَيْلَهُ قِيَامًا ، وَنَهَارَهُ صِيَامًا ، لَا يَمِيلُ وَلَا أَنْفَ ،
 دَائِمَ الْحُزْنِ ، وَالْبُكَاءِ مَتَفَرِّغٌ لَهُ ، وَمِنْهُ خَائِفٌ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَخْشَى الْقَطِيعَةَ
 وَالْإِنْتِقَالَ إِلَى صَعْبِ الْمَتَالِفِ ، وَأَنْتَ فِي غَمْرَةِ هَوَاكَ وَعَلَى حُبِّ دُنْيَاكَ
 وَاقِفٌ ، كَأَنِّي بِكَ وَقَدْ هَجَمَ عَلَيْكَ الْجِمَامُ ^(١) الْعَاسِفُ ، وَافْتَرَسَكَ مِنْ بَيْنِ
 خَلِيلِكَ وَصَدِيقِكَ الْمُؤَالِفِ ^(٢) ، وَتَخَلَّى عَنْكَ حَبِيبِكَ وَقَرِيبِكَ وَمَنْ كُنْتَ
 عَلَيْهِ عَاطِفٌ ، لَا يَسْتَطِيعُونَ رَدًّا مَا نَزَلَ بِكَ ، وَلَا تَجِدُ لَهُ كَاشِفًا ، وَقَدْ نَزَلَتْ
 بَفَنَاءٍ مِنْ لَهُ الرَّحْمَةُ وَالْإِحْسَانُ وَاللِّطَائِفُ ، فَلَوْ عَاتَبَكَ لَكَانَ عَثْبُهُ عَلَى
 نَفْسِكَ مِنْ أَخَوْفِ الْمَخَاوِفِ ، وَإِنْ نَاقَشَكَ فِي الْحِسَابِ ، فَأَنْتَ تَأْلَفُ ، أَيْنَ
 مَقَامِكَ مِنْ مَقَامِ الْأَبْطَالِ يَا بَطَّالُ ، يَا كَثِيرَ الزَّلَلِ وَالْخَطَايَا ، يَا قَبِيحَ الْفِعَالِ ،
 كَيْفَ قَنَعْتَ لِنَفْسِكَ بِخَسَاسَةِ الدُّونِ يَا مَعْنُونَ ، وَغَرَّكَ أَمَانِيكَ بِحُبِّ الدُّنْيَا
 يَا مَفْتُونُ ، هَلَّا تَعَرَّضْتَ لِأَوْصَافِ الصُّدُقِ فَاسْتَحْلَيْتَ بِهَا الْقَالِبَ الْحَقَّ :

﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ ﴾ ^(٣) إِلَى مَتَى أَنْتَ مَرِيضٌ بِالزُّكَامِ ؟
 وَمَتَى تَسْتَنْشِقُ رِيحَ قَمِيصِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا غَلَامَ ؟ لَعَلَّهُ يَرْفَعُ عَنْ
 بَصِيرَتِكَ حِجَابَ الْعَمَى ، وَتَقِفُ مَتَذَلِّلًا عَلَى بَابِ إِلَهِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ،
 خَرَجَ قَمِيصِ يَوْسُفَ مَعَ يَهُوذَا ^(٤) مِنْ مِصْرَ إِلَى كِنْعَانَ ، فَلَا أَهْلَ الْقَافِلَةِ
 عَلِمُوا بِرِيحِهِ ، وَلَا حَامِلَ الْقَمِيصِ عِلْمًا ، وَإِنَّمَا قَالَ صَاحِبُ الْوَجْدِ : ﴿ إِنِّي

(٢) المؤالف : الموافق لك على هواك .

(١) الحمام : الموت .

(٣) سورة التوبة ، الآية ١١٢ .

(٤) يهوذا : أحد إخوة يوسف .

لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴿١﴾ ، كل واحد منكم في فَقْدِ قَلْبِهِ كيعقوب في فقد يوسف ، فليُنصَب نفسه في مقام يعقوب ، ويتحسّر وَلَيْتَكَ على ما سلف ، ولا يَيْئَس ، كيف طريق التَّحَسُّسِ قطع مراحل الليل وركوب نجائب العزم إنضاء بغير الجسم ومصاحبة رفقة الندم والمستغفرين بالأسحار .

* * *

(١) سورة يوسف ، الآية ٩٤ .

الفصل الثاني والعشرون

بَعْضُ مَرَاتِ الطَّاعَةِ

إخواني : من أراد دوام العافية فَلْيَتَّقِ اللَّهَ ، ما أقبل مُقْبِلٌ عليه إلا وجد كل خير لديه ، ولا أعرض معرض عن طاعته إلا وَتَعَثَّرَ في ثوب غفلته :

والله ما جئكم زائراً إلا رأيت الأرض تطوى لى
ولا انثنى عزمى عن بابكم إلا تعثرت بأذيالى (١)

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « قال ربكم عز وجل : لو أن عبادى أطاعونى لسقيتهم المطر بالليل ، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ، ولم أسمعهم صوت الرعد » (٢) .

قال أبو سليمان الداراني (٣) : من صفا صفا له ، ومن كدر كدر عليه ، ومن أحسن فى ليله كفى فى نهاره .

وقال الفضيل بن عياض : إني لأعصى الله فأعرف ذلك فى خُلُقِ دابتي وجاريتي (٣) .

فيا من يريد دوام العيش على البقاء ، دم على الإخلاص والنقاء ، وإيّاك والمعاصى ، فالعاصى فى شقاء المعاصى ، والمعاصى تذل الإنسان وتُخْرِسُ اللسان ، وتُغَيِّرُ الحال المستقيم ، وتحمل الاعوجاج مكان التقويم .

قال يحيى بن أبى كثير : لَمَّا أصاب داود الخطيئة نفرت الوحوش من حوله ، فنادى : إلهى رُدّ على الوحوش كى أستأنس بها ، فردّها الله عليه ،

(١) الأبيات من بحر الرجز .

(٢) قريباً منه ، فى العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية لابن الجوزى ٣٠٣/٢ .

(٣) أبو سليمان الداراني عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى ، وهو من حى مذحج ، مات

فَأَحْطَنَ به واصطفن إليه فرفع صوته بقرآنه الزبور ، فنادته هيهات هيهات
يا داود قد ذهبت الخطيئة بحلاوة صوتك ، فكان يقول : بُحَّ صوتى فى صفا
أصوات الصديقين ، وأصبحت كالبازى المنتف ريشه يرى حسران كُلمًا
طار طائرٌ :

يرى طائرات الجو يخفقن فى الهوى فيذكر ريشاً من جناحيه وافر
وقد كان دَهراً فى الرِّياضِ مُنَعَّماً على كل من يهوى من الصَّيْدِ قادر
إلى أن أصابته من الدهر نَكْبَةٌ فأصبح مقصوص الجناحين حاسر
مضى السابقون الأوَّلون لفورهم وقصَّرت فى أمرى وإنى لخاسر^(١)

* * *

(١) الأبيات من بحر الطويل .

الفصل الثالث والعشرون الصَّلَاة

اعلموا - إخواني - أن الله عَزَّ وَجَلَّ قد قَدَّر الصلوات وَقَدَّمَهَا على غيرها من العبادات ، وإنما يحافظ عليها من يعرف قدرها ، ويرجو أجرها ، ويخاف العقاب على تركها ، وهذه صِفَةُ المؤمن ، وإنما يتوانى عنها ناقص الإيمان إن تكاسل ، وكافر إن تهاون .

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث جابر ^(١) عن النبي ﷺ أنه قال : « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » ^(٢) .

وروى في صحيحه أن النبي ﷺ قال : « عليك بكثرة السجود فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رَفَعَكَ اللهُ بها درجة وَحَطَّ عَنْكَ بها خطيئة » ^(٣) .

وروى أنس ^(٤) عن النبي ﷺ أنه قال : « جُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة » ^(٥) .

وقد كان لله عَزَّ وَجَلَّ عباد يُحِبُّونَ خدمته لِشِدَّةِ مَحَبَّتِهِمْ إِيَّاه فيحضرون في الصلاة قلوبهم ويجمعون لأدائها هِمَمَهُمْ .

وروى عن ابن الزبير ^(٦) أنه كان إذا قام في الصلاة فكأنه عود من الخشوع ، وكان يسجد فتنزل العصافير على ظهره لا تحسبه إلا جزءاً

(١) هو : جابر بن عبد الله .

(٢) والحديث رواه مسلم ١٤٤/١ واختصاره للألباني رقم (٢٠٣) ٦٢/١ .

(٣) الحديث رواه مسلم (٨٢) في الإيمان ، وأبو داود (٤٦٧٨) ، والترمذي (٢٦٢٢) .

(٤) رواه مسلم (٤٨٨) ، والترمذي (٣٨٨) ، والنسائي (٢٢٨/٢) من حديث أبي الدرداء .

(٥) من حديث أول : « حُببَ إِلَيَّ من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرّة عيني في الصلاة »

من حديث أنس بن مالك ، رواه النسائي ٦١/٧ في عشرة النساء ، باب حب النساء ، ورواه أحمد

١٢٨/٣ ، ١٩٩ ، ٢٨٥ ، وحسنه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في جامع الأصول ٧٦٦/٤ .

(٦) هو جزء من حديث رواه أبو داود رقم (٤٩٨٥) ، (٤٩٨٦) في الأدب ، باب صلاة العتمة

وصححه الأرناؤوط في جامع الأصول .

أو حائطاً أو وجه حجر أو رحل فدقه^(١) وهو في الصلاة فذهبت ببعض ثوبه
فما التفت ، وكان إذا دخل بيته سكت أهل البيت ، فإذا قام إلى الصلاة
تحدّثوا وضحكوا .

واعلموا - إخواني - أن من أحبَّ المخدم أحبَّ الخدمة له ،
لو عرف العبد من يُتاجى ، لم يُقبِلْ على غيره ، والصلاة صلة بين العبد
وبين ربّه .

الستر الأول : الأذان ، كالإذن في الدخول .

وسر التقريب الإقامة : فإذا كُشِفَ ذلك الغطاء لاح للمتقى قُرّة
العي ، فَدَخَلَ فِي دَائِرَةِ دَارِ الْمَنَاجَاةِ « أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلَالُ »^(٢) ، فقد « جعلت
قرة عيني في الصلاة » اكشف يا بلال ستر التقريب عن الحبيب .

يا بَطَّالُ : لو سافرت بلداً لَمْ تَرْبِحْ فِيهِ حَزَنَتْ عَلَيَّ فَوَاتَ [رَبِحَكَ]^(٣)
وضياع وقتك ، أَفَلَا يَبْكِي^(٤) مَنْ دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ عَلَيَّ قُرّةَ الْعَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ
بغير فائدة .

يصلى فيرسلها كالطيور إذا أرسلت من حصار القفص
يقوم ويقعد مستعجلاً كمثل الطروب إذا مارقص^(٥)

إخواني : لا تقنعوا بالحركات ، فإن الله لا ينظر إلى صوركم .

يا هذا : إنّما يصاد الطائر بمحبوبه من الحبّ ، ومحبوب القلب
الطاهر ذكر الله عزّ وجلّ ، فحرام على قلبك ، على قلبك الحائم حول
جيف الهوى ، ألقي له حبّ الذُّكْرِ على فَخِّ الصِّدْقِ فِي حَدِيقَةِ الصُّورِ لَعَلَّهُ
يقع في شبكة المعرفة .

(١) هكذا أو أظنها فدفعته .

(٢) في مسند أحمد ج ٥ ص ٣٦١ ونصه « قم يا بلال فأرحنا بالصلاة » عن محمد بن الحنفية
عن أبيه .

(٣) من عندنا ليستقيم المعنى . (٤) في « ب » : تبكى .

(٥) الببتان من بحر الرجز .

عُدَّ إِلَى رَبِّكَ

أَيُّهَا الْعَبْدُ : تَنَاهَ عَنْ قَبِيحِ فِعْلِكَ قَبْلَ انْبِثَاطِ جَهْلِكَ ، وَانظُرْ لِنَفْسِكَ فِي أَمْرِكَ قَبْلَ حُلُولِكَ فِي قَبْرِكَ .

كُتِبَ الْحَسَنُ ^(١) إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَكَأَنَّكَ بِالْدُنْيَا لَمْ تَكُنْ وَبِالْآخِرَةِ لَمْ تَزَلْ .

وَوَعِظَ أَعْرَابِي ابْنَهُ ، فَقَالَ : لَا الدَّهْرُ يَعْظُكَ ، وَلَا الْأَيَّامُ تَنْدُرُكَ ، وَالسَّاعَاتُ تُعَدُّ عَلَيْكَ ، وَالْأَنْفَاسُ تُعَدُّ مِنْكَ ، أَحَبُّ أَمْرِيكَ إِلَيْكَ أَرَدُّهُمَا بِالْمُضْرَةِ عَلَيْكَ .

وَوُجِدَ عَلَى حَجَرٍ مَكْتُوبٌ : ابْنُ آدَمَ ، لَوْ رَأَيْتَ مَا بَقِيَ مِنْ أَجْلِكَ لَزَهَدْتَ فِي طَوْلِ أَمْلِكَ ، وَلرَغِبْتَ فِي الزِّيَادَةِ فِي عَمَلِكَ ، وَلقَصَّرْتَ مِنْ جَهْلِكَ وَحِيلِكَ ، وَإِنَّمَا يَلْقَاكَ نَدْمُكَ إِذَا زَلَّتْ قَدَمُكَ ، وَأَسْلَمَكَ أَهْلُكَ وَحَشَمُكَ ، وَبَاعَدَكَ الْوَلَدَ الْقَرِيبَ ، وَرَفَضَكَ الْوَلَدَ وَالنَّسِيبَ ، فَلَا أَنْتَ إِلَى دُنْيَاكَ عَائِدٌ ، وَلَا فِي حَسَنَاتِكَ زَائِدٌ فَاعْمَلْ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . قَبْلَ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ .

وَقَفَ قَوْمٌ عَلَى رَاهِبٍ فَقَالُوا : إِنَّا سَأَلُوكَ ، أَمْجِينَا أَنْتَ ؟ فَقَالَ : لَا تُكْتَبِرُوا فَإِنَّ النَّهَارَ لَمْ يَرْجِعْ ، وَالْعَمْرُ لَنْ يَعُودَ ، وَالطَّالِبُ حَثِيثٌ فِي طَلْبِهِ ، ذُو اجْتِهَادٍ ، فَقَالُوا : مَا عَلَى الْخَلْقِ غَدًا عِنْدَ مَلِيكِهِمْ ؟ قَالَ : عَلَى نِيَّاتِهِمْ ، قَالُوا : فَأَنَّى الْمَوْتَلُ ؟ فَقَالَ : إِلَى الْمَقْدَمِ ، قَالُوا : فَأَوْصِنَا ، قَالَ : تَزُودُوا عَلَى قَدْرِ سَفَرِكُمْ ، فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ مَا بَلَغَ الْبُعْيَةَ .

(١) أَى الْحَسَنِ الْبَصْرِي .

يا هذا : لا تجزع لرؤية ملك الموت ، وائت وأنت تشاهد فيها عملك ،
عَمْرُكَ قليل ، وقد ضَيَّعت أكثره ، فكيف شعورك في البقية ، ولعل هذا
اليوم الآخر ، واللييلة الأخيرة ما أرخص ما يُباع عمرك ، وما أغفلك عن
السَّرى ، إنَّما المرض نهاية الصِّحَّة ، والفراق قرين الوصلة ، والأَيَّام ترحل ،
ولا بد من مَسَّة بدن والحبيب مفارقاً أو مُفَارِقٌ ، والمرء رهن مصائب .

الأَيَّام تنقضى حتى يوارى جسمه فى رسمه (١) فمؤجل يلقى الردى
فى غيره ، ومعجل يلقى الردى فى نفسه ، الدنيا لِمَنْ فَهْم ، قنطرة العبور
وسوق التَّزَوُّد ومتطهرة التنظيف وزرعت للحصاد ، فأما للعاقل فهى مفرقة
المجامع ، ومحزنة الرُّبوع ، ومجرية الدَّموع ، من نال من دنياه أمنيته اسقطت
الأَيَّام منها الإلف ، اطلب فيها قدر بلغتك ، وخذ مقدار حاجتك خصها
خصوص المسافر فى طلب علف بغيره ، اطلب الدنيا قدر الحاجة ، واطلب
الآخرة على حسب الطاقة ، هذا ولو أنَّك بلغت إلى الحمى التوكل لاستراح
قلبك ، وغذَّاك الله كما يُغذِّي الطير ، تغدو خماصاً ، وتروح بطاناً .

* * *

(١) رسمه : قبره .

احذر الغفلة

قال الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ (١) .

فإن اختلف المفسرون في المراد بمقام ربه على قولين :

أحدهما : إنه قيام العبد بين يدي ربه يوم الجزاء .

والثاني : إنه قيام الله تعالى عباده فأحصى ما اكتسب ، والمراد بالهوى ههنا ، ما يهوى العبد من المحارم ، فيذكر مقامه للحسنات ، واعلم : أن من تَفَكَّرَ عند إِقْدَامِهِ على الخطيئة في نظر الحق إليه رَدَّهُ فِكْرَهُ خَجَلًا مِمَّا هَمَّ بِهِ ، فَالنَّاسُ فِي ذَلِكَ عَلَى مَرَاتِبٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَفَكَّرُ عِنْدَ جَوْلَانِ الْهَمِّ بِالذَّنْبِ فَيَسْتَحْيُ مِنْ مَسَاكِنَةِ ذَلِكَ الْخَاطِرِ ، وَهَذَا مَقَامُ أَهْلِ الصِّفَا ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَوِيَتْ أَسْبَابُ غَفْلَتِهِ فَهُوَ سَاكِنٌ ذَلِكَ الْهَمِّ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَعِزُّ عَلَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعِزُّ لِقُوَّةِ غَفْلَتِهِ ، فَهُوَ يَسْتَسْقِي إِقْدَامَهُ فِيمَا عَزَمَ عَلَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ بِمُقَارَنَتِهِ الْمَحْظُورِ وَمُدَانَاتِهِ ، ثُمَّ تَدْرَكَهُ الْيَقِظَةُ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ هَذَا عَلَى مَقْدَارِ تَكَاثُرِ الْغَفْلَةِ وَقِلَّتِهَا ، فَيَفَكِّرُ عِنْدَ خَاطِرِهِ فِي عِظَمَتِهِ مِنْ قَدِّ عِلْمٍ ، وَعِنْدَ يَقِظِهِ فِي جَلَالِ مَنْ قَدْ سَمِعَ ، وَعِنْدَ فِعْلِهِ فِي عِزَّةِ مَنْ قَدْ رَأَى ، وَهَذَا الْفِكْرُ إِنَّمَا نَبَتْ عَنْ إِصْرَارِ رَاسِخٍ مِنَ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ رَاعَاهُ الْحَقُّ إِلَيْهِ حَذَارُ عِلْتِهِ (٢) وَمَعَامِلَةٌ صَادِقَةٌ فِي الْخُلُوعِ ، إِلَّا أَنَّ الْغَفْلَةَ عَنِ التَّذَكُّرِ وَالسَّعْيِ عَلَى جَادَةِ الْهَوَىٰ غَشَى عَلَى الْقَلْبِ ، وَرَانَ عَلَيْهِ فَإِذَا هَمَّ بِخَطِيئَةٍ أَوْ قَارَبَهَا اقْتَلَبَ مِرَاعَاةَ الْحَقِّ إِلَيْهِ ، خَذَ مِرَاعَاتِهِ بِحَقِّ الْحَقِّ قَبْلَ ذَلِكَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ (٣) ، وَقَالَ : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا

(١) سورة النازعات ، الآيات ٤٠ ، ٤١ . (٢) هكذا .

(٣) سورة الصافات ، الآية ١٤٣ .

صَالِحًا ﴿١﴾ ، وكما جاء في الحديث : « تَعَرَّفَ إِلَى اللَّهِ فِي الرِّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَةِ » ﴿٢﴾ .

فما ينفر طائر قلبه من وسخ العزم على الذنب ثم عام في بحر الحياة خجلًا مُمًّا هَمَّ به يخرج نقيًا بعد الوسخ طاهرًا بعد النجس ، لأن الأصل محفوظ بالصدق ومرهون بالإيمان ، ولولا لطف الحق لكشف حجب الغفلة لبراق الذنب ، غير أنه أراه برهان الهدى فرجع ، وأقام له هاتف التقوى فخشع ، والقلوب تحن إلى ما اعتادت وألفت ، وتنازع إلى ما مرت عليه وعرفت .

أما سمعت قول عمر بن أبيي :

بينما نحن في ولادك فالقاع
خطرت خطرة على القلب من
قلت للشوق إذا دعاني
سراعاً والعيش يهوى هويًا
ذكراك وهنا فما أطقت مضيًا
لييك وللحادين ردوا المطيًا

* * *

أثارهم بعدهم وما صنعوا
يا واقفا بالديار مُكْتَبًا
ادخل إلى الدار فهي خالية
إذا تأملتهم كأنهم ما
ولا جرى بينهم مذاكرة
كانوا كركب خطور رحالهم
تَمَّ كتاب الياقوتة على التمام والكمال ، والحمد لله وحده وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وسلم .

* * *

(١) سورة الكهف ، الآية ٨٢ .

(٢) جزء من حديث ابن عباس الطويل ، رواه أبو نعيم في الحلية ٣١٤/١ في ترجمة عبد الله ابن عباس ، وفي سنده رجلين مجهولين فهو ضعيف .

فَصْلٌ لِّابْنِ الْجَوْزِيِّ

تَنْبِيْهُ الْكِتَابِ

أين من شيد القلاع وعمّر الحصون ، واستخرج من الكنوز المال المصون ، أما دار عليه رحي المنون ، أما صار كل منهم فى الثرى بعمله مرهون ، فتيقظ أيها الغافل قبل أن تخمد حركاتك بالسكون ، وتزول إلى اللحد المسكون ، ولا تركز إلى الآمال ، فيوم المآل كأن قد سيكون ، اعتبر بدوران الأقدار على ذوى الأقدار ودع عنك الجنون ، أما سمعت ما قال الله فى كتابه المكنون : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

يامن أطال قطيعتى يوم اللقاء متى يكون ، لأُخْرِقَنَّ ملبسى وأبوح بسرى المصون ، حتى تقول عواذلى : ماذا هوى ، هذا جنون (٣) .

* * *

(١) هكذا بالأصل .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٨٢ .

(٣) تمت المخطوطة ، والحمد لله أولاً وآخراً . (أحمد عبد التواب عوض) .

الفهارس الفنية

- ١ - فهرس الآيات القرآنية .
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية .
- ٣ - فهرس الأعلام .
- ٤ - فهرس الأشعار .
- ٥ - فهرس الأماكن والبلدان .
- ٦ - فهرس مصادر ومراجع التحقيق .
- ٧ - فهرس الموضوعات .

* * *

فهرس الأيات القرآنية

رقم الصفحة	رقم الآية	اسم السورة	الآية
١١	١٨٢	الأعراف	سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ
٩٤	٢	الأنفال	التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ
١٠٩	١٢٢	التوبة	يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا
٤٥	٤٦	هود	وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَلَذَكَرَ اللَّهُ أَكْبَرَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ
١١٠-١٠٩	٩٤	يوسف	فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكَ مُقْتَدِرٍ فَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ
٨٤	٤٩	الكهف	
١١٧	٨٢	الكهف	
٩٤	٣٥	الحج	
٩٣	٤٥	العنكبوت	
٩٣	٢	يونس	
١١٧	١٤٣	الصفافات	
٩٣	٥٥	القمر	
٩٦	١٣	الحديد	
٨٣	١٨	الحاقة	
٩٤	١٣	القيامة	

رقم الصفحة	رقم الآية	اسم السورة	الآية
١١٧	٤١،٤٠	النازعات	وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * اِرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً
٩٧	٢٨،٢٧	الفجر	

* * *

فهرس الأحدث النبوية

رقم الصفحة	مصدره	الحدث
١١٤	أحمد وغيره	أرحنا بها يا بلال استقبل رسول الله ﷺ الحجر
٤٣	ابن ماجه وغيره	فاستلمه أقرب ما يكون الرب من العبد
٧٠	ابن ماجه وغيره	في جوف الليل أما إنكم لو أكثرتم ذكر هادم
٦٤	الترمذى وغيره	اللذات أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت
٩٣	أحمد	بى شفتاه
٨٨	الترمذى (ضعيف)	إن الحميم ليصب على رءوسهم
٨٠	صحيح ابن ماجه	إن فى الجنة مائة درجة
٩٥	الحاكم	إن الله خلق خلقه فى ظلمه أوقد على النار ألف سنة حتى
٨٧	الترمذى وغيره	احمرت أى صلاة الليل أفضل؟ قال:
٧٠	النسائى وغيره	نصف الليل
٥٧	الترمذى	بادروا بالأعمال سبعا
١١٣	مسلم وغيره	بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة
١١٨	أبو نعيم فى الحلية	تعرف إلى الله فى الرخاء ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين
٥٤	البخارى ومسلم	ظهراى جهنم

رقم الصفحة	مصدره	الحديث
١١٣-١١٤	النسائي وغيره	جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ
٩٣	البخارى ومسلم	سَيَرُوا سَبْقَ الْمُفْرَدُونَ
٦٩	أبو داود وغيره	عَجِبَ رَبَّنَا مِنْ رَجُلَيْنِ
٦٩	أحمد وغيره	عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَابُّ
١١٣	مسلم وغيره	الصَّالِحِينَ
١١١	العلل المتناهية	عَلَيْكُمْ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ
٧٩	أحمد وغيره	قَالَ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ : لَوْ أَنَّ
٨٣	أحمد وغيره	عِبَادِي أَطَاعُونِي
٨٠	ابن ماجه	قَلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدَّثْنَا عَنْ
٨٧	البخارى	الْجَنَّةِ
٦٧	البخارى وغيره	الْكَيْسِ مِنْ دَانَ نَفْسَهُ
٨٧	الحاكم وغيره	مَا ذَكَرَ الْجَنَّةَ إِلَّا مُشَمَّرًا إِلَيْهَا
٥٣	صحيح البخارى ومسلم	نَارَكُمْ هَذِهِ مِمَّا يُوقَدُ بَنُو آدَمَ
٨٨	أحمد وغيره	جِزَاءَ
		وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ الدُّنْيَا أَهْوَنُ
		يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ
		يَعْرِقُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
		يَعْظُمُ أَهْلَ النَّارِ حَتَّىٰ إِنْ بَيْنَ شَحْمَةِ

* * *

فهرس الأعمام

رقم الصفحة	الاسم
	(أ)
٥٦	آمد الشامى
١١٥ - ٥٧ - ٥٦	آدم (عليه السلام)
٤٧	أبو إسماعيل (من أصحاب فتح)
٨٤	أبو بكر البخارى
٦٠ - ٥٨	أبو بكر بن عيَّاش
	أبو بكر الكتانى (محمد بن على بن
٧٣	جعفر الكتانى)
٥٠	أبو بكر النهشلى
٥٧	أبو حازم
٧٦	أبو الحسن الموسمى
	أبو الدرداء (عويمر بن مالك بن قيس
٩٣ - ٧٣	ابن أمية الأنصارى)
٦٩	أبو ذر
٥٣	أبو سعيد
١١١	أبو سليمان الدارانى
	أبو طلحة (زيد سهل بن الأسود النجارى
٥٨	الأنصارى)
٥١	أبو عبيدة الخواص
٥٠ - ٤٣	أبو عمران الجونى

رقم الصفحة	الاسم
١٠٧	أبو الفوارس الكرماني
٦٤	أبو محمد العجلي
٨٨	أبو موسى
١١١ - ٨٨ - ٨٧ - ٧٩	أبو هريرة (عبد الرحمن بن صخر)
٩٥	أبو موسى الأشعري
٤٩	أبو يونس بن عبيد
٨٨ - ٥٩ - ٤٩ - ٣٤	ابن عمر (عبد الله بن عمر بن الخطاب)
٩٦ - ٩٥	إبليس (لعنه الله)
٧٩	أسامة بن زيد
٥٦	أسلم بن عبد الملك
١١٥	أعرابي
٥٥	أم الربيع أم حيثم
٥٠	أم منصور
٩٣ - ٥٣	البخاري
	(ت)
٨٤	توبة بن المعلم
	(ث)
٩٥ - ٥٠ - ٤٦	ثابت البناني
	(ح)
	حاتم الأصم (أبو عبد الرحمن حاتم
١٠٧	ابن عنوان)
٧٥	حذيفة المرعشي

رقم الصفحة	الاسم
٤٤ - ٥٧ - ٦٣ - ٨٣	الحسن البصرى
٩١ - ١١٥	
٥١	الحسن بن عدقة
	(ج)
١١٣	جابر بن عبد الله
٤٣ - ٤٥	جبريل (عليه السلام)
٦٠	الجمانى
	(د)
٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٧٠	داود
١١١	
	(ر)
١١٥	راهب
	الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن
٦٠	كامل المرادى
٧١	ربيعة بن فروخ التيمى
	(ز)
٥٥	زيد بن مزيد
	(س)
٤٦	السَّدى (إسماعيل بن عبد الرحمن السَّدى)
١٠٧	سرى (أبو الحسن سرى بن المغلس السقطى)
٤٩ - ٥٩	سعيد بن جبير

رقم الصفحة	الاسم
٥٩	سعيد بن المسيب
٤٧	سليمان التيمي
٩١	سميط
١٠٣	سمنون
٨٠	سهل بن سعد
	(ش)
٧٥	شعبان بن عيينة
	(ض)
٧١	الضحاك بن مزاحم الهلالي
	(ط)
٧٠	طاوس
	(ع)
٥٨	عائشة (رضي الله عنها)
١١٣	عبد الله بن الزبير
٤٨	عبد الله بن عمرو
٦٣	عبد الملك بن مروان
٤٩ - ٦٩ - ٨٧	عبد الله بن مسعود
٥١ - ٥٦	عطاء السلمي
٥٠	العلاء بن نهد بن مطر العدوي
١١٨	عمر بن أبي
٤٩ - ٥٨ - ٨٣	عمر بن الخطاب
١١٥	عمر بن عبد العزيز
٧٠	عمر بن عبسة

رقم الصفحة	الاسم
٥٩	عمر بن هانيء
٦٧	عمّار بن ياسر
٥٨	عون بن عبد الله
	(ف)
٤٧	فتح بن سعيد الموصلي
٦٣ - ٧٥ - ١١١	فضيل بن عياض
٥١	الفضل بن محمد بن إبراهيم السلفي
	(ق)
٧١	القاسم بن راشد الشيباني
	(ك)
٧١	كهمس
	(م)
٤٧ - ٤٨	مجاهد
٦٠	محمد بن إدريس الشافعي
٥٣ - ٩٣ - ١١٣	مسلم
٦٤	المعتضد (أحمد بن طلحة بن جعفر)
١٦٦	ملك الموت
٥٢	مالك بن دينار
٥٠	منصره
٦٠	منصور بن المعتمر
	(ن)
٥٩	نافع (المدني أبو عبد الله)
٥٠	نهاد بن مطر العدوي

رقم الصفحة	الاسم
٤٨ - ٤٥	نوح (عليه السلام) (هـ)
٥٠	هشام الدستوائي
٧٠	همام بن الحارث (و)
٨٧ - ٧٥	وهب بن منبه
٤٥	وهيب بن الورد (ي)
١١١ - ٤٨	يحيى بن أبي كثير
٧٤ - ٦٧	يحيى بن معاذ
٦٣	يزيد بن تميم
٧٥ - ٥٠ - ٤٥ - ٤٤	يزيد الرقاشي
٥١	يزيد بن هارون زادن
١١٠ - ٥٢	يعقوب
١٠٩	يهودا
٧٣ - ٤٥	يوسف بن أسباط
١٠٩ - ٥٢	يوسف (عليه السلام)
٩١	يوسف بن عبد الحسن

* * *

فهرس الأشعار

رقم الصفحة	عدد الأبيات	البحر	القافية	صدر البيت
٤٥	٢	الوافر	البكاء	بكيث
٥٢	٥	الطويل	استهلت	ألا مالعين
٥٢	١	الوافر	الأكباد	من لم بيت
٨٢	٦	الرجز	الأقذار	لا تجز عن
٩٤	٢	الطويل	ولم يدر	وداع دعا
١١٢	٢	الطويل	وافر	يرى طائرات
٧٢	١	الطويل	قفر	كفى حزناً
٤٦	٢	الطويل	الظهر	أنوح
١٠٣	١	البيسط	منصوراً	منازل
١١٤	٣	الرجز	القفص	يصلى
٤٦	٢	الطويل	المدامع	تصاعد
١١٨	٦		تبع	أثارهم
٦١	٣	الكامل	جميعاً	أحيوا
٧٢	٢	الطويل	توقفا	ولمّا وقفنا
٨٩	٦	الكامل	وتشوقا	قف
٥٦	٢	الرجز	حشاكا	يا عاذل
٧٩	١	الرجز	والجبالا	بشرها
٩٩	٢	الوافر	المنازل	وما أعطى
١٠٦-١٠٥	٤		والأمل	كيف

رقم الصفحة	عدد الأبيات	البحر	القافية	صدر البيت
١٠١	٢	الكامل	الأول	نقل فؤادك
١١١	٢	الرجز	تطوى لى	والله
٧٢	٥	الكامل	سلام	نسيم الصبا
٨٩	١	الطويل	فمَسَلَم	فإن تمنعوا
٤٨	٥	الطويل	المُتَيِّم	أجارتنا
١٠٨	٦	الرجز	ولسانى	كان رقيئا
٩٠	٤		وأهلانا	كم قد
٩٢	٢		وأمطرتنا	أظلت
		الهمز	يسأمونا	بكى
٥٠	٢	(غير المجزوء)		
٥١	١	الطويل	جفونى	ورقت
١٠٥	٣	البسيط	البين	يا ناظر
١٠٣	٢	الطويل	عزأوه	ويكى على
١٠٥	٢	الطويل	قوتها	إذا كنت
٩٥	٢	الطويل	قصده	وكل إلى
١١٨	٢		هويا	بينما نحن

* * *

فهرسُ الأماكِن وَ البُلدان

رقم الصفحة	المكان أو البلد
٦٤	تهامة
٩٣	جبل حمدان
٤٤	سرنديب
١٠٩	كنعان
١٠٩	مصر
٩٣	مكة
٥١	واسط

* * *



أهم المصادر والمراجع

- * القرآن الكريم .
- * كتب السنّة التسعة .
- ١ - ابن الجوزى الواعظ ومنهجه فى الدعوة إلى الله : جمعه الخولى ، رسالة دكتوراة ، مخطوطة بكلية أصول الدين بالأزهر .
- ٢ - الأسرار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة : على القارى ، طبعة دار الكتب العلمية .
- ٣ - الأعلام : خير الدين الزركلى ، ط دار العلم للملايين سنة ١٩٩٢ م .
- ٤ - تاريخ إربل : ابن المستوفى ، نشر وزارة الثقافة العراقية سنة ١٩٨٠ م .
- ٥ - تاريخ بغداد : الخطيب البغدادى .
- ٦ - تذكرة الحفاظ : الحافظ الذهبى .
- ٧ - تذكرة الموضوعات : لابن القيسرانى .
- ٨ - تقريب التهذيب : لابن حجر العسقلانى .
- ٩ - تهذيب التهذيب : للذهبى .
- ١٠ - تهذيب سير أعلام النبلاء : للذهبى ، ط دار الرسالة سنة ١٩٩٢ م .
- ١١ - جامع الأصول : لابن الأثير .
- ١٢ - حلية الأولياء : لأبى نعيم .
- ١٣ - الدر المنثور : السيوطى .
- ١٤ - الذيل على طبقات الحنابلة : ابن رجب ، ط دار المعرفة ببيروت .
- ١٥ - زاد المسير فى علم التفسير : ابن الجوزى ، تحقيق زهير الشاويش ، المكتب الإسلامى سنة ١٩٨٤ م .
- ١٦ - شذرات الذهب : لابن العماد الحنبلى .

- ١٧ - شعب الإيمان : البيهقي .
- ١٨ - صفة الصفوة : لابن الجوزي .
- ١٩ - العقد الفريد : لابن عبد ربه .
- ٢٠ - معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة ، ط دار الرسالة .
- ٢١ - الموسوعة الصوفية : للدكتور عبد المنعم الحفنى ، ط دار الرشاد
سنة ١٩٩٢ م .

* * *

فهرسُ الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	* إهداء
٧	* مقدمة
٩	* ترجمة ابن الجوزى :
٩	اسمه
٩	نسبته
١٠	مولده
١٠	نشأته وطلبه للعلم
١٣	أولاده
١٤	صفاته وأخلاقه
١٦	مذهبه
١٦	علاقته بالخلفاء وولاة الأمر
١٧	وعظه
١٩	ابن الجوزى والصوفية
٢٢	آثاره العلمية
٢٣	من مصنفاته فى القرآن وعلومه
٢٤	من مصنفاته فى أصول الدين
٢٤	من مصنفاته فى الحديث والزهديات
٢٦	من مصنفاته فى التاريخ

٢٧ من مصنفاته فى الفقه
٢٧ من مصنفاته فى علوم الوعظ
٢٨ من مصنفاته فى فنون مختلفة
٣١ وفاته
٣١ الأصول المعتمدة للكتاب
٣٢ بداية المخطوطة
٣٢ تنويه
٣٣ عملى فى التحقيق
٣٥ صورة ضوئية للصفحة الأولى والأخيرة من المخطوطة
٣٩ * الياقوتة فى الوعظ
٤١ * مقدمة المصنف
٤٣ الفصل الأول : ابك على خطيئتك
٥٣ الفصل الثانى : تفكر فى يوم القيامة
٥٧ الفصل الثالث : بادر بالأعمال الصالحة
٦٣ الفصل الرابع : اذكر الموت
٦٧ الفصل الخامس : ذم الدنيا
٦٩ الفصل السادس : قم الليل واترك التكاسل
٧٣ الفصل السابع : اندم على ذنوبك
٧٥ الفصل الثامن : امقت نفسك وازدريها
٧٩ الفصل التاسع : سارع إلى الجنة
٨٣ الفصل العاشر : جاهد نفسك

الصفحة	الموضوع
٨٧	الفصل الحادى عشر : اخذر النار
٩١	الفصل الثانى عشر : عليك بالخوف من الله
٩٣	الفصل الثالث عشر : عليك بحب الله
٩٥	الفصل الرابع عشر : تفاوت النفوس فى الخير والشر
٩٧	الفصل الخامس عشر : روض نفسك
٩٩	الفصل السادس عشر : خالف هواك
١٠١	الفصل السابع عشر : تبصّر فى نفسك
١٠٣	الفصل الثامن عشر : تذكّر يا عامِل
١٠٥	الفصل التاسع عشر : الفائزون
١٠٧	الفصل العشرون : سارع إلى التوبة والإنابة
١٠٩	الفصل الحادى والعشرون : ابتعد عن المعاصى
١١١	الفصل الثانى والعشرون : بعض ثمرات الطاعة
١٣٣	الفصل الثالث والعشرون : الصلاة
١١٥	الفصل الرابع والعشرون : عُدْ إلى ربك
١١٧	الفصل الخامس والعشرون : اخذر الغفلة
١١٩	فصل لابن الجوزى : تتمه الكتاب
١٢١	* الفهارس الفنية :
١٢٣	فهرس الآيات القرآنية
١٢٥	فهرس الأحاديث النبوية
١٢٧	فهرس الأعلام

الصفحة	الموضوع
١٣٣	فهرس الأشعار
١٣٥	فهرس الأماكن والبلدان
١٣٧	المصادر والمراجع
١٣٩	فهرس الموضوعات

* * *

دار الفضيحة

للنشر والتوزيع والتصدير

الإدارة: القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضي -

كلية البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس ٦٦٤٤٤٤

المكبة: ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٤٣١

الإمارات: دبي - ديرة - صرب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦